UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191120

UNIVERSAL
LIBRARY

رواية

الشريف المجهول الاصل

﴿الجزء الاول﴾

تأليف بول فيقال

معربة عن الفرنساوية بقلم حضرة الاديب

زاهد افندي حداد اللاذقي

نزيل القاهرة

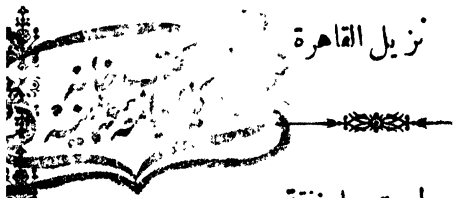

طبعت على نفقة

عبد الحق الانصاري

صاحب مطبعة الشورى بالفجالة بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة له

رواية

الشريف المجهول الأصل

﴿ الجزء الاول ﴾

تأليف بول فيفال

معربه عن الفرنساوية بقلم حضرة الاديب

زاهد افندي حداو اللاذقي

نزيل القاهرة

طبعت على نفقة

عبد الحق الانصاري

صاحب مطبعة الشورى بالفجالة بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة له

الفصل الاول

عشاء فلامبرج

تبتدىء روايتنا هذه عند ابتداء ملك لويس الرابع عشر في احد ايام سبتمبر سنة ١٦٦٠ في يوم صفاجوه واعتقل نسبمه وفي هذا التاريخ كان الكردينال مازارين وحنه دوتريش قد ناهزا الستين من العمر ولم يبق لهما الا تذكار الماضي

في هذا النهار خرج سكان باريس يجوبون الشوارع ويستنشقون الهواء مغتنمين جودة الطقس فكنت لا تمر باحد الشوارع الكبيرة الا وترى الناس جماعات جماعات البعض منهم يلعبون بالورق والبعض الاخر يرتشفون الخمرة وآخرون واقفون يتمشون وايديهم على مقابض سيوفهم

وكان في احدى زمر اللاعبين رجل طويل القامة عريض الاكتاف ضخم الجثة تلوح عليه دلائل القوة والبأس الشديد يظهر ان حظه في اللعب يومئذ قليل لانه كان من وقت الى ... الشتائم . وما زال يخسر حتى لم

سوى دوقتين (نوع من العملة القديمة) فهم بالانصراف واذا بشخص اتى من ورائه ووضع يديه على كتفيه وقال سعدت صباحاً يا حضرة الشيفاليه دي غرالي

فالتفت صاحبنا وقال اهذا انت يا تورنكه ماذا اتى بك الان في انحس الاوقات

- عندي امور مهمة احب أن اطلعك عليها

فترك الشيفاليه دي غرالي زمرة اللاعبين وتأبط ذراع رفيقه الجديد وذهب اما رفقاؤه فصاروا يهزأون به قائلين ما بال حضرة الشيفاليه قد ذهب ألم يعد معه دراهم

وقال احد الحاضرين يظهر أن عشيقته ماريوت لاباسكير قد هجرته وانقطعت عن اسعافه . انظروا الى ثوبه ما ارثه.

وبعد أن ابتعد هو وتورنكه عن الجميع قال له هات ما عندك .

- الم تر يا سيدي الشيفاليه العربة التي مرت منذ وفيها رجل مع امرأته

لم ار شيئاً لانهائي باللعب

— أسعد الله مساءك ياسيدي

فاجابه السيد الجالس في العربة يمكنك ياصديقي ان تلقبني بالكونت من الآن فصاعداً لاني من نحو نصف ساعة كسبت دعواي وصرت ألقب بالكونت دي فوا

اما فلامبرج فادار وجهه نحو السيدة وقال ليبارككِ الله أيتها السيدة الشريفة

وقال الكونت لزوجته هذا صديقنا فلامبرج الجندي الذي خدمنا مدة طويلة في طريقنا من أسبانيا الى فرنسا نهارك سعيد يابني نهارك سعيد

وقال فلامبرج بصوت ضعيف اسمح لي ياسيدي ان أسأل عن صحة صديقة الملكة الصغيرة

— ان ابنتنا اجنور مع اخيها فيس في املاك منتارجيس عند عمتهما وهما بخير والحمد لله

ثم ضرب الكونت الخيل بالسوط فجرت سراعا بعد أن انحنى فلامبرج مسلما

وبعد قليل اقبل الى الجسر الشيفاليه غرالبي الذي تقدم

ذكره مع تورنكه وكان بفعل الخمرة يصدم الفرسان في سيره وحين وصل الى فلامبرج تقدم اليه وقال له هل تحب ايها الفتى أن تربح في هذا المساء مئة فرنك اما فلامبرج فبدلا من أن يبادر حالا لاوامر سائله نظر اليه باحتقار وضم يديه على صدره وقال امش في طريقك ياهذا فاغتاظ الشيفاليه وقال ما معنى كلامك ايها الاحمق

اما فلامبرج فكرر القول امش في طريقك

فاقترب منه الشيفاليه ليرى وجهه وكان الاثنان طويلي القامة فلم يحتج الشيفاليه ان ينحني لينظر من يكلمه وكان يظهر للناظر أن الشيفاليه اقوى بكثير من فلامبرج لضخامة جثته ولكن الظواهر لا تصدق دائما اذ انه عند ما عرف من يخاطب رجع الى الوراء وادار ظهره وذهب يفتش عن شخص اخر بعد أن قال باعتذار انني لم اعرفك اولا ياصديقي غاستون

لماذا رفض طلبه يا ترى كان جائعا جداً اشتهى رغيف خبز يابس ومع ذلك رفض بتكبر ما عرض عليه

وبعد أن غاب غرالي عن بصره طأطأ رأسه وجرت دمعتان على خديه وقال بصوت ضعيف انى لم اشعر بحياتى بمثل ما اشعر اليوم من الجوع ثم افتكر قليلا وقال بعزم : ويل لاول شخص يمر لان الجوع لا يحتمل

ثم ترك الجسر وذهب بشارع اربرسك وما التفت حتى رأى فقيراً مكسحا يمشي على عكازتين وهو يصرخ الصدقة يا اصحاب الغيرة

وما سمع فلامبرج الصوت حتى صرخ غرنشوار : اهذا انت اقرضني ستة بستولات واخي لاموسكاد يرجعهالك

ـ ابداً ! ولكن يمكنني ان اساعدك. توجد اليوم حفلة عند لابسكيز حيث يغنون ويرقصون ويأكلون

ـ هذا ما اطلب يا صديقي

ـ هيا اذاً. ثم ذهبا في شارع سان جرمن لوكزروا وعند مابعدا عن الناس نزع غرنشوار عكازتيه وحملها على كتفه ومشى

وكانت لابسكيز هي ذاتها معشوقة الشيفاليه دي غرالي

وعندها حانة يأوي اليها أكثر أشقياء باريس حيث تطعمهم وتسقيهم لتستخدمهم لمقاصدها

وصار يقص غرنشوار على فلامبرج سبب الحفلة تلك الليلة فقال ان تورنكه أتى وأخبرها خبراً سرت له جداً حتى انها نزلت بنفسها الى الحانة وأخبرت الاشقياء بوجود حفلة رقص وشرب تلك الليلة . آه لو رأيت الجواهر التي تلبسها لابد ان تخنق ذات يوم وهي في فراشها. ولكنها والحق يقال كريمة لطيفة فانها تدفع أجرتنا بكرم وسخاء

— وهل يتعشون باكراً

— لا تعرف العادة في ترويكيفيل (اسم الحانة) عند مايوجد رقص تبقى المائدة ممدودة طول النهار

وكان فلامبرج يسرع الخطى الا ان رفيقه كان يوقفه من وقت الى آخر لكي يقرع على بعض الابواب التي يمر عليها ويخبر أهلها بوجود فرح في ترويكيفيل

وبعد قليل وصلا الى باب مفتوح وامامه فتاة نحيفة تلاعب كلبا وحين رآها غرنشوار قال لها افتحي الطريق فان

الشريف الذي ترينه من المحل

(فضحكت عند ما) قال الشريف وفتحت لهما الطريق

ثم التفت غرنشوار الى رفيقه وقال بما انك لم تتشرف بمعرفة السيدة ماريوت فسأقدمك اليها لكي تفحصك الفحص اللازم قبل ان تدخل ثم دخلا القاعة وكان نورها باهراً حتى ان فلامبرج لم يقدر ان يرى كل الناس في بادىء الامر لشدة النور

رأى نحو أربعين شخصاً رجالاً ونساء حول مائدتين طويلتين وامامهما المآكل والمشروبات وهم يأكلون ويشربون ومع ماكان عليه من الجوع شعر بفساد هواء الغرفة اذ لم يكن من منفذ لها سوى الباب

ولم يحدث دخول فلامبرج تغييراً في القاعة لان أغلب الموجودين كانوا يرونه على الجسر الجديد حيث يذهب معظمهم للتفتيش عن شغل الا ان البعض استغربوا دخوله لاول مرة وصاروا ينظرون اليه اما غرنشوار فكان يقول لهم : لقد ربحت خمسين فرنكا باحضاري هذا الغريب لان لابسكيز

قالت انها تحب ان تراه

ثم فتح بابا ودخل في ممر مظلم واختفى

وتعجب فلامبرج لترك رفيقه له ورأى نفسه وحيداً بين تلك الجموع الذين ابتدأوا يحيطون به

وكان يدخل من وقت الى وقت زوار آخرون رأى فلامبرج بعضهم على الجسر الجديد

وصار الموجودون يتكلمون اللغة المصطلح عليها بين الطبقة السفلى من الشعب فهمها فلامبرج فهل كان هو يا ترى مثل هؤلاء الاشقياء وسنعلم ذلك عن قريب

وحينما اعتادت رئتاه هواء القاعة الفاسد ابتدأ الجوع يعود اليه فجعل يجيل نظره بين الناس لعله يجد غرنشوار ثم التفت الى جهة الممر فلم ير أحدا اذ ظن انه من واجبات المتأدب ان ينتظر رفيقه . وبينما هو ينظر في الممر المظلم رأى على بعد في آخره نوراً ضعيفا قد لمع ثم اختفى بأقل من ثانية وتوهم انه رأى كحلم هيئة شخص عليه الحلى والازهار . الا انه قال في نفسه أظن ان الجوع أثر عليّ حتى انه صار يريني أنواراً

على بعد فالا وفق ان أملأ معدتي . وذهب الى طرف المائدة حيث لم يكن أحد وجلس بعد ان جمع امامه عدة أرغفة من الخبز ثم ملأ صحفته وابتدأ بالاكل بقابلية شديدة حتى ان الجلوس صاروا يتغامزون عليه . وبعد قليل فرغت صحفته فملأها ثانية وثالثا ورابعا فزاد عجب الحاضرين وصاريتجمعون حوله للتفرج عليه . وقال تورنكه الذي عرفناه بأول القصة لاحد الموجودين انظر يابوكايل ان هيئته تدل على الشر

فقال بوكايل للحاضرين انظروا الى جزمته كيف هي مخرقة والى ثيابه القديمة وقال آخر انه باع قميصه ولم يبق عنده الا الدرع الجلدية

فضحك الحاضرون اما فلا مبرج فبقي يأكل بسكون كأنه لا يسمع شيئا فاغتاظ البعض لسكونه وقالوا فليتكلم فانه يوجد الآن جواسيس كثيرة من البوليس في المدينة . فلم يجب مبرج بشيء

— هو أخرس — لا بل أطرش

وتقدم اليه من الحاضرين رجل طويل القامة نحيف

البدن كبير الشاربين وكان الكل يهابونه لقوته وبسالته وحين وصل الى فلامبرج قال أنت تتكلم قليلا وتأكل كثيراً ياصديقي . عندي كلب اسمه ماروفل وهو يتكلم أقل منك ويأكل اكثر منك

فصعد الدم الى وجه فلامرج وقالت احدي النساء انه ليس بأطرش وقالت أخرى انه أخرس

وقالت ثالثة لا بل هو خائف

فقطب فلامبرج حاجبيه وقال لمكلمه وأنت ما اسمك ياصاح ؟ فرفع الرجل رأسه بكبر وقال كل الناس تعرف اسمي ومن لم يعرفه يغرم اما بدفع بعض المال أو بضربة من رأس سيفي فنهض فلامبرج وقال بهدوء بما انه لا يوجد معي دراهم فسأدفع لك ضربة سيف

ثم جرد حسامه وفعل خصمه كفعله وقال هذا بعد ان هز سيفه ان اسمي ياصاح براندامور ضابط في رجال الدوق دابوف ، والآن احذر لنفسك فسأضع لك علامة في خديك ثم ضرب خصمه ضربة شديدة كانت أودت به لولا انه

تلقاها ببهارة . وصفق كل الحاضرين لبرندامور الذي كانوا يخافونه ولكن لا يحبونه لقساوته

وكان فلامبرج يحارب بقدم ثابتة ويضرب بسيفه ضربات الزمت خصمه ان يتأخر قدما الى الوراء فاحتدم هذا غيظا لان منزلته تضعف جداً اذا قهر وأراد الهجوم ثانية واذا بضربة سيف أتته على خده الايسر ثم ثانية على خده الايمن ولم يشعر الا والسيف قد طار من يده

فاغمد فلامبرج سيفه وذهب بسكينة الى المائدة وقال ياصديقي برندامور اسمح لي الآن ان اكمل عشائي لاني لم أكل من مدة طويلة والقليل الذي أكلته لا يكفيني

فضحك الكل عند ماقال «القليل»

ثم ملا صحفته للمرة الخامسة وجعل يأكل

ولم يكن الحاضرون وحدهم قد شاهدوا هذا البراز اذ قبل ان يتقدم برندامور الى فلامبرج فتح باب الممر الذي تقدم ذكره ولولم تكن كل الانظار موجهة الى مايحدث في القاعة لوجد الناظر سبجين في آخر ذلك الممر : رجلا وامرأة

ذلك الرجل كان غرنشوار وبجانبه الشبح الذي رآه فلامبرج وظن ان ذلك وهم

وكانا يريان كلما يحدث . وقالت المرأة لغرنشوار انه جميل الطلعة وهو يأكل كذئب جائع اني أحب ذلك . أغلق الباب قبل ان يراني أحد — وهو هادئ كخروف . ثم أغلق الباب الا ان المرأة وقفت وراءه ورأت فلامبرج حينما جرد سيفه لمقاتلة برانامور وقالت انه جندي جميل . ثم صارت تتأمل المشهد بكل انتباه الى ان انتهى القتال فقالت حقا انه ليس بشرير ولو كان كذلك لقتل برانامور

وحين رجع فلامبرج الى المائدة ليكمل أكله ضحكت المرأة وقالت حقا انه بطل . نعم سنحضره لي ولكن انتظر ريثما ينتهي من أكله

فهم غرانشوار بالانصراف ولكنها أوقفته اذ سمعت ضوضاء من ناحية الغرفة التي بقربهما

فقال غرنشوار ان هذه الضوضاء من ناحية الجسر الجديد — هو ينتبه ايضا لهذه الضوضاء انظر اليه كيف ترك

الاكل وانصت ثم سمع طلقتا رصاص فأبعد فلامبرج صحنه ونهض عن المائدة

وقالت المرأة ان الكونت يدافع عن نفسه ولكنه سيقتل . ثم تنهدت وقالت لا بأس انى غنية وستقام قداديس عديدة عن نفسه . ولكن هذا الشاب سمع الضوضاء وهو يخرج اذهب حالا ياغرنشوار وامنعه من الخروج واحضره الى هنا

الفصل الثاني

قصة غاستون فلامبرج

وأدخل فلامبرج بعددقائق قليلة من ذلك المر الي غرفة مفروشة باحسن الزينة

وكان ذلك المنزل مسكن ماريوت لابسكيز التى كانت تملك عدة بيوت وأندية غيره . وقصتها هي مايأتي :

وجدها احد اليهود الاغنياء وهي صغيرة شريدة جائعة فأخذها الى بيته وأبقاها عنده خادمة ثم انه مامضى شهر على

ذلك حتى صار يراها الناس تلبس الحرير والحجارة الكريمة فان ملتقطها تولع بها جداً وأصبح لا يقدر ان يفارقها وابتدأ هو أيضا يعيش عيشة جديدة فغير ملابسه وعيشته بعد ذلك البخل الشديد . ثم صار يتردد عليهما الشيفاليه غرالي الذي كان يقترض الدراهم من اليهودي ويعطيه حوالات على ثروته المستقبلة من ارثه وتمكنت الصداقة بينه وبينهما الى ان بات يحسب من العائلة

وفي أحد الايام وجد اليهودي ميتا في فراشه وبجانبه وصيته التي بها يعطي كل مايملك للمويوت لابسكيز

وحين ماصارت هي صاحبة أمواله ابتدأت بمشترى الحانات والبيوت بتشغيل الدراهم التي كانت تعود عليها بارباح عظيمة . ومن جملة ما اشترت على مايزعم الناس بيتا مبنيا تحت الارض له مداخل ومخارج سرية يسمى الكهف والكهف كان في تلك الايام بيتا تحت الارض ضخم الجدران بلا نوافذ مظلما جداً كان يستعمله بعض الاغنياء لسجن

أعدائهم وقيل ان بعض نساء الشرف كانت تسرق الاولاد وتذبحهم هناك وتستحم بدمائهم لكي لا يزول صباها . وهذه الكهوف يثبتها التاريخ وقد وجد في احدى مذكرات مسيو دي لاريني أول من صار مديراً للبوليس في فرنسا مايؤكد ذلك

لنعد الآن الى ماريوت . كانت ماريوت الملقبة لابسكيز صبيحة الوجه تبلغ من العمر نحو العشرين أو الحادية والعشرين سوداء العينين ذات أنف أقنى قليلا وشفتين لايزول عنهما الاحمرار ممشوقة القوام شقراء اللون الى مايقارب الحمرة وكانت تحب الهندام والزينة جداً وطالما تعجب ذات نساء الاشراف من زينتها وحسدوها عليها

اما أخلاقها فكانت بوجه الاجمال حميدة . اذا أحبت أحبت كثيراً واذا أبغضت تبغض كثيراً غير ثابتة في الحب متكبرة صادقة في قولها

قلنا ان فلامبرج دخل عليها يتقدمه غرنشوار فوجدها متكئة على سريرها وامامها مائدة عليها ابريق وفنجان قهوة (وكانت يومئذ القهوة تحسب مشروب الاشراف والاغنياء)

لابسة ثوباً من الحرير عارية الزندين والصدر مرخية الشعر وعند ماصار في وسط الغرفة انحنى غرنشوار امامها وقال باحترام هذا هو صاحبنا

فنظرت اليه نظر فاحص ثم قالت لاأحد يقدر ان يتهمه بأنه سرق كيس الدراهم

فقال فلامبرج بصوت مرتجف قليلا اني لم ارتكب السرقة قط في كل حياتي وظهر ان صوته أثر فيها حتى انها توقفت عن شرب القهوة وقالت بعد ان القت عليه نظرة ثانية ان اللبس لايقدم ويؤخر شيئاً ياصاحبي واني لا أنظر الى ثيابك لاحكم عليك وأرى من هيئتك انك شريف وشجاع

فقال غرنشوار نعم شجاع للنهاية وأؤكد لك انه يقاوم عشرة رجال اما لابسكيز فاستأنفت الحديث قائلة : ولست بشرير لانك لم تقتل خصمك برندامور ساعة كنت قادراً على قتله

— اني لم أقتل أحداً في حياتي

فقالت ماريوت بصوت لطيف جداً انظر الي أيها الشاب

فنظر فلامبرج اليها قليلا ولكنه ماعتم ان أدار نظره عنها فتبسمت ماريوت تبسم الافتخار وقالت له اقترب مني ياصديقي ايضا . . . ايضا . . .

فاقترب فلامبرج مطيعا ونظرت اليه لابسكيز ايضا وهي ترشف قهوتها وبعد ان انتهت وضعت يدها على ذراع فلامبرج وصارت تشدها وبعد ان فحصتها قالت انك ضعيف ولكن لحمك شديد فهل قلبك قاسي كذراعك

— لا أعلم ياسيدتي

وضحك غرنشوار فنظرت اليه لابسكيز وأمرته بالسكوت ثم قالت لفلامبرج اليس لك معشوقة ؟

— كلا

فاخذت ماريوت خمس قطع ذهبية من كيسها واعطتها لغرنشوار قائلة انصرف عني الآن

فخرج هذا بعد ان أخذ أجرته واغلق الباب وراءه وبعد ان ابتعد التفتت الى فلامبرج وقالت اجلس أيها

الشاب وبينما كان يفتش عن كرسي يجلس عليه سمع صوت حركة من غير الناحية التي أتى منها . وكان في تلك الناحية باب مقفل . وعند حدوث الحركة اصغت لابسكيز ونهضت سريرها وقالت له اجلس مشيرة الى سريرها فاطاع وجلس وذهبت هي الى الباب وبعد ان اصغت قليلا سمعت صوت شخصين يتكلمان من بعيد ولكنها لم تهتم لذلك بل اقفلت الباب جيداً ورجعت وجلست على السرير بقرب فلامبرج الذي كان اصفر الوجه وبعد ان اصغت قليلا قالت فلنتكلم الآن ربما تستغرب سلوكي هذا معك ولكن لا بأس فاني أعرف أشياء كثيرة عنك انك فقير جداً ولكنك طيب القلب شجاع وحياتك تنطوي على سر احب ان اطلع عليه . اخبرني أولا لماذا انقطعت عن الاكل فجأة قبل ان تأتي الى هنا

— لانني شبعت

. فنظرت اليه لابسكيز نظراً حاداً فرأت الدم يصعد الى وجهه فوضعت اصبعها على فمه وقالت انك تكذب . لقد سمعت حركة فتبسم فلامبرج كطفل وقال نعم هذه هي

الحقيقة

— وماذا سمعت ؟

— صوت استغاثة وصليل سيوف

فنظرت اليه نظرة شكر وقالت ولماذا نهضت بعد ان ربطت حزامك كمن يستعد للقتال ؟

— ان لذلك سبباً يطول شرحه

وفي تلك اللحظة دفع الباب وسمع صوت يقول افتحي ياحبيبتي هذا أنا فأشارت لابسكيز الى فلامبرج بالسكوت ثم صاح الصوت بغضب الا تفتحين ياشقية ودفع الباب بشدة الا انه كان مقفلاً جيداً . ثم سمع صوت قذف وشتائم وبعد نحو دقيقتين أو ثلاث انقطع الصوت وسمع صوت مشي يبتعد

والتفتت حينئذ ماربوت الي رفيقها وقالت وأنا ايضا تنطوي حياتي على سر . ابتدئ بقصتك أولاً وسأقص عليك قصتي بعد واذا وجدت فيك شهماً شجاعا كريما فسأجعلك من الاغنياء

وأثر صوت لابسكيز ولهجتها على فلامبرج فنظر اليها طويلا ثم اطرق وصمت وبعد ان صمت عاد فقال اذا كنت تحتاجين الى من يدفع عنك الذي كان وراء الباب فلبيك ودعينا من قصتي فانها لا تهمك

ـ وهل تعرف من كان بالباب ؟

ـ اظن اني اعرفه . اليس هو الشيفاليه دي غرالبي

فانتفضت لابسكيز ولكنها هدأت روعها وقالت انك مخطئ جداً ياصديقي

فنظر اليها نظر المرتاب وقال لا بأس ولكني لا استاء اذا قابلت الشيفاليه وجها لوجه وسيفانا مسلولان

ـ وهل اضر بك ؟

ـ اني ابغضه . واحتقره

فأطرقت لابسكيز مدة ثم رفعت رأسها وقالت نعم لا بأس في ذلك ولكن ماستفعله لا يجب ان يكون بسبب عداوتك له بل لكي تدافع عني وسكتت ثانية

ثم التقت العينان فتبسمت وقالت اني منتظرة القصة

فتنهد الشاب وقال ان قصتي محزنة . لم يكن عمري سوى سنة عند ماوجدوني معلقا من رجلي بسيف مغروز بشجرة وتحتي والداي مقتولان وكان ذلك في اثناء حرب فرنسا واسبانيا . والعساكر الفرنسويه تحت قيادة سكومبرج فأخذت بعدان دفن والداي اللذان لم اتمكن الى الآن من معرفة اسميهما اما السيف فانه لايزال معي لايفارقني فهذا ارثي الوحيد وهو يدلني على ان والدي كان من الاشراف انظري اليه ياسيدتي . وقيل لي انه ثمين جداً وقد جعت مراراً عديدة جوعا شديداً مثل هذا المساء وافتكرت مراراً عديدة بالسرقة وبالقتل ولكني لم افتكر ابداً ان ابيع سيف والدي

ثم وقف متحمساً فبان الجمال والهيبة على وجهه وقالت لابسكيز بصوت منخفض اني جميلة ولكنك اجمل

اما هو فاستأنف حديثه قائلا اما الذين قتلوا ابي وامي فهم اسبانيول ولكن وجد بينهم رجل فرنسوي لم اتمكن الى الآن من معرفة اسمه ولي امل كبير بان حدة عن قريب واخذني العساكر الذين وجدوني في صندوق وكان ذلك في

سنة ١٦٣٦ ودام الحرب بعدئذ سنتين ثم انفض المعسكر وبقيت مع جندي اسمه جاك بيير اخي كثيراً واحضرني معه الى باريس ورباني مع امرأته بعرق جبينهما مع ولد كان لهما يدعى جانو اصغر مني بسنين قليلة . وسميانى غاستون لانهما وجدا هذا الاسم مكتوبا على برنيطتي . ولا تسلي كم كانا يتعبان لاجلي ولاجل ولدهما جانو وقد ماتا في صباهما لكثرة الشغل . وكان اخي جانو نحيف الجسم قصير القامة ولكن ذا قلب قوي بعكسي انا الذي لم اجسر ان اخاصم احد

— اجبان انت.!

— لا اعلم وانما اتذكر ان اخي كان دائما يدفع عني الاولاد الذين كانوا يعتدون علي ويسمونني بالجبان

ثم دخلت الجندية بعد ان مات مربياي وكان جانو اذ ذاك صغيرا فلم يستطع ان يأتي معي فبعث نفسي لاحد الفرسان بستة بستولات واعطيتها لاخي جانو . وبقيت في الحرب ست سنوات حاربت بخلالها في شامبانيا ولورين وفلاندر وكنت ارسل كل ما اقدر ان أحصله من الدراهم

الى أخي وكانت في اكثر الاحيان لا تصله وفي خلال الحرب مرت علي مصاعب كثيرة فجرحت وجعت ومرضت ومشيت حافي الاقدام . ولكن اظن ان كل هذا لا يهمك فاسمعي ما اقصه عليك . كنت في احدى الليالي راجعا الى الخيمة لاحضر العشاء لضابطي واذا بي اسمع صوت صليل سلاح ثم صوت رجل يسلم سلاحه ويطلب الاغاثة فركضت الى موضع الصوت ورأيت أحد الاشراف لابسا لبس الاسبانيول وحوله اثنا عشر رجلا فجردت حسامي واندفعت عليهم وبعد عراك شديد فرقتهم عنه الا ان احدهم اصابني برصاصة في كتفي فجرحني جرحا بليغا أخرني عن اللحاق بالجيش . وبقيت مدة مرضي عند احد الفلاحين فاعتنى بي جداً مع امرأته

وفي ذات ليلة أفقت على ضوت ضجيج وصليل سيوف وصفير بنادق فهرعت خارجا وعلمت ان فرقة من الاسبانيول نفتك بالمزرعة ثم عدت الى البيت لضعفي حينئذ فرأيت عدة فرسان قد دخلوه وما وطئت رجلي داخل البيت حتى

رأيت ما اقشعر له بدني رأيت ولدي الفلاح مذبوحين وابنتهما مغشيا عليها وبقرب النار الرجل وامرأته ورجلاهما موضوعتان على جمرة وهما يصرخان من الالم . ثم التفت فرأيت رئيس الفرقة وهو مشبك يديه على صدره قائل عجلا أيها الشقيان هل تلزماني ان اشويكما الى ركبتيكما لكي تحضرا الدراهم. وفاتني ان اخبرك انى حينما أصبت بالرصاصة في صدري وخلصت الرجل الذي استغاث لم اتمكن من رؤية وجهه بسبب الظلام ولكني لم أزل اتذكر صوته وحينما سمعت رئيس الفرقة يتكلم علمت انه هو فذهبت اليه وعرفته بنفسي واظن انك تعرفينه ياسيدتي بدون ان اذكر اسمه . فوضع يديه على كتفي وقال هذا أنت ياصديقي لم أعرفك لانى لا اتذكر وجهك بسبب الظلام

ولقد أتيت بوقتك وهذان الشقيان لا يريدان ان يحضرا الدراهم ولا شك انك تعرف محلها فأين هي ؟ فقلت ان هذين المسكينين لم يعد عندهما شيء فقد نهبوهما مرتين فعبس الشيفاليه دي غرالي . . .

فقاطعته ماريوت ووضعت يدها على فمه قائلة اسكت

— اذاً هو بذاته الواقف وراء الباب . واشار المذكور الى عساكره . . .

فقاطعته ماريوت ثانية بقولها وهل تألمت كثيراً

فرفع فلامبرج كم ثوبه وأراها زنوده المحروقة وعلامات الحديد المحمي

فصاحت ماريوت هل حماك بالحديد انت الذي خلصته

— كنت ضعيفا جداً حينئذ فوضعوني على طاولة وامسكوني وجعلوا يحرقون زنودي

— انت تبغضه جداً اذا اليس كذلك ؟

— كل الذين عرفوني قالوا انه ينقضي شيء لاصير رجلاً وهو البغض فاني لم أبغض أحداً في حياتي وقد التقيت اليوم به على الجسر الجديد وجها لوجه ولم افتكر بأن أمد يدي الى قبضة سيفي فابتعدت ماريوت عنه وضربت برجلها المائدة وقال بصوت الغضب انى لا احتاج لا الى قديس ولا الى ملاك . ماذا اقدر ان انتفع منك

اما هو فجاوب بفتور لقد تعشيت الليلة . وغداً رزقي على الله

— ويلاه ماذا يجب ان أفعل لاغلاء الدم في عروقك

— لااعلم . اذا مداحد يده الى اخي جانو او الى صديقة الملكة او لو عرفت اسم قاتل أمي وابي ...

— ولكن هذا الذي ترك العلامات في زنودك كان من الاسبانيول

— قد أتاني هذا الفكر . وقلت مراراً بنفسي ربما كان هو قاتل ابي وأمي واني احب من كل قلبي ان يكون هو بذاته

— واذا كان بذاته ؟

— اقتص منه بحد هذا السيف فلا احد يقدر ان يحميه لاالقوانين ولا الملك ولا الله . اقتله بين اهل القضاء اقتله في القصر الذي يسكنه الملك . اقتله في الهيكل حيث يعبد الله

ثم انتصب بغتة وعيناه تقدحان شرراً فلم يعد ذات الرجل الذي كان يتكلم قبلا بل ظهر كبطل من ابطال القدم .

اما ماريوت فجعلت تنظر اليه باعجاب شديد

ثم عاد الى الحديث قائلا : ان الحب عندي شديد كذلك البغض ليس له حد

- ستحبني وتبغضه . وقد احببتك انا وبرهانا على ذلك اعرض الآن حياتي وثروتي للخطر باجتماعي بك واستماعي لك ثم جلسا ثانية على السرير جنبا لجنب وايديهما مشبكة وقال فلامبرج انك غنية جداً وانا فقير . وقد قلت لك قبلا اني لم احب قط فقد كذبت . ان التي احببتها طفلة . ولكنها ستصير امرأة فعبست لابسكيز وقالت احذر لنفسك . فان غيرتي شديدة ولكن لنترك هذا الآن ونرجع الى قصتك

- واكتفى الاشقياء بهذه الحروق مع ضربة خنجر جعلت اول خرق في ثوبي . ثم سلمت دنكرك للقائد تورين ودعيت الفرقة التي كنت فيها لكي تمهد الطريق التي سافر فيها الملك الى ليون لعقد زواجه على البرنسس مرغريت دي سافوا ولكنه لم يتم الزواج بسبب ابنة اخت الكردينال . ثم رجع الملك الى باريس وارسلت فرقتنا الى بروفانس لاخماد

الثورة . والستة التالية دعينا ثانية لنمهد طريق الملك الى سان جان دي لوز حيث تمت خطبة جلالته لابنة ملك اسبانيا وبعد ذلك عقد الصلح بين فرنسا واسبانيا فاطلق سراحناه واتفق عدد من العساكر الذين كنت معهم ان ينهبوا بعض الضياع ولكني رفضت ان ارافقهم وصممت على الرجوع الى باريس لارى اخي جانو . واذ لم يكن معي دراهم اضطررت ان اقطع المسافة بين سان جان دي لوز وباريس مشيا على قدمي فتعذبت جداً على الطريق وبقيت شهراً بتمامه الى ان قطعت نصف المسافة . وفي احد الايام التفت ورائي فرأيت قافلة صغيرة مؤلفة من رجل وامرأته وولدين صبي وبنت مع خادم . اما الأب والأم والخادم فكانا مشاة والولدين راكبين على حمار كان يقع عند كل حجرة تصطدم بها رجله وعرفت من هيئة الرجل وامرأته انهما من اصل كريم . اما الولدان فكانا بغاية الظرافة والجمال وخصوصا البنت وعلمت من لبسهم ان حالتهم المالية لم تكن احسن من حالتي

وحين رآني الرجل صرخ بي قائلا هل نحن بعيدون

عن المدينة فقلت الباقي لبلوغها كيلو متران . ثم مروا بعد ان سلموا علي

والآن اصغي الي ياسيدتي فقد وصلنا الى القسم الذي يهمك معرفته فالرجل كان اسمه تنكريد دي بوش الذي هو الكونت دي فوا حاليا وبعد ان سبقوني واختفوا عن نظري وراء احدى التلال سمعت صوت صراخ وبكاء فركضت حالا رغما عن ضعفي فرأيت الحمار قد وقع ووقع معه راكباه وتخدشا قليلا اما الحمار فلم يقم من سقطته بل مات من التعب وحين وصلت اليهم قال لي الرجل بصوت وقور انك ترى امامك ياصديقي الشاب احد الاشراف المقرب الى كل العائلات المالكة في اوروبا

فصاحت لا باسكيز نعم هذا هو الصحيح

فتبسم فلامبرج متهكما وأتم حديثه نعم هذه هي الحقيقة فان تنكريد هو كبير العائلة التي اصغرها الشيفاليه دي غرالي . ثم ابتدأ تنكريد المذكور الذي صار منذ ساعات قليلة كونت دي فوا وسيد المقاطعات دي لسكون ولو ترك

ونيل وبوش وغيرها بالاطناب في مدح نفسه وزعم ان بينه وبين عائلة فالوا قرابة وكذلك عائلة بوربون وانه ابن عم البير وعم كورتني ومقرب من عائلة استوارت وسافواولورين واوتريش

فقالت ماريوت نعم كل هذا صحيح

- نعم ولكن كل هذه القرابات لم تمنعه بان يكون بحالة يرثى لها من الفقر وحقا انى شفقت مراراً عديدة على امرأته . وبعد ان مات الحمار لم يقدر الولدان على اجتياز بقية الطريق فحملت انا البنت وحمل الخادم الصبي اما تنكريد فحمل سرج الحمار الذى بعناه في اول ضيعة وصلنا اليها وتعشينا بثمنه لان قريب الملوك والامراء وصاحب الالقاب العديدة كان مثلي لا يملك فلسا . وثاني يوم اتممنا طريقنا ورجع صاحبنا الى عادته في مدح نفسه فقال لي نحن قادمون من انجيين حيث لابن عمي ملك اسبانيا عنده بستان اجمل بكثير من فونتنبلوا وابنته الجميلة قد صارت الآن ملكة فرنسا

وهي لاتقدران تصبر على فراق بنتي اجنور التي كانت تزورها كل يوم فاذا كنت ياصديقي تساعدنا على حمل أولادنا الى باريس اجعلك من احد الاغنياء . وهكذا بقيت حامل البنت متمما بذلك وظيفة الحمار الذي وافته المنون

وهناسكت فلامبرج وانصت لانه سمع صوتا خفيفا من الخارج لاصوت كلام أو قرقعة بل صوت من يتجسس وراء الباب فالتفت الى لابسكبز وقال لها ياسيدتي الجميلة انه لايوافقني ان ابوح بتاريخ حياتي لشخص آخر غيرك

فنظرت اليه مدهوشة وقالت هل راعك ماسمعته الآن . اطمئن ياصديقي فان في بيتي غرفا كثيرة وحانات ولا يخلو الامر من سماع حركة ما . ويظهر انك داهية متنبه فاني منذ نصف ساعة كنت اقول عنك جبان وشجاع وطيب القلب واذا كنت داهية ايضا فهذا يوافقني اكثر وسأدخلك في عمل يلائمك

فعادت الى فلامبرج سكينته وهيئته الساذجة وقال اني اخدمك بما شئت مري وأنا طوع امرك

فنظرت اليه ماريوت نظر المستفحص وقالت انه يصعب عليّ ان احكم على الناس الذين يلبسون مالا يوافق طباعهم ومقامهم . وغداً تلبس ثوبا من الحرير والاطلس وتأتي اليّ لاراك جيداً وحينئذ اقدر ان احكم عليك

ثم احضرت لاباسكيز قنينة من الخمر المعتقة وصبت لفلامبرج فشرب أولا وثانياً وثالثاً فاحمرت وجنتاه وأخذت الخمر منه مأخذها وقال لها والآن نعود الى حديثنا انك تكرهين هذا الغبي الشيفاليه دي غرالبي وقبل ان تتخلصي منه تريدين ان تصيري امرأته . اليس كذلك ؟

فنظرت اليه بحنق وقالت ماهذا الكلام أيها الشاب احذر لنفسك فان سيفك الطويل هذا لايخلصك من غضبي اذا حاولت ان تهزأ بي

فأخذ فلامبرج يدها وقبلها وقال سامحيني ياسيدتي وليس الخمر التي اسكرتني بل جمالك . ظننت اني ارضيك بقتلي هذا الرجل انا الذي لم يعلق برأس سيفي نقطة دم

فتبسمت ماريوت وقال فلنرجع ياصديقي الى قصتك

— نسيت اين وصلت فهل انت تذكرين

— وصلت الى حين ابتدأت بتتميم وظيفة الحمار . كمل فان قصتك تهمني فقهقه فلامبرج وقال اذا كانت قصتي تهمك فسأسردها كلها لك وسأطيل كلامي بقدر الامكان لابقى بجانبك

وبعد ان انصت قليلا اشار الى الباب وسأل هل ينتظر ؟

— دعه وشأنه فلينتظر بقدر مايحلو له . فلاتقطع حديثك

— سمعاً وطاعة ياسيدتي الجميلة . استلمت وظيفة الحمار بعد موت المذكور وقمت بها بكل امانه ونشاط فكنت احمل اجنور على ذراعي واحيانا احمل معها اخاها ايضا . حقا ان هذا الولد سيكبر ويصير بطلا اذا لم يقتله احد ...

— ومن يقتله ؟

— لا اعلم ياملكتي . اما اخته فهي كمالك بغاية الجمال

— الآن وصلنا الى المهم

— نعم وقد علمت ان هذا ماهمك بالاكثر . وبكلامي

عنها يظهر لك سبب قيامي عن المائدة قبل ان اشبع وانصاتي لطلاق الرصاص قلت اني قمت بوظيفتي الجديدة بنشاط وأمانة لا بسبب المواعيد التي كان يطنب تنكريد في ذكرها بل شعرت بجاذب نحو هذه البنت الصغيرة ولا اعلم اي شعور اسميه . وبالحقيقة كنت اصغر من ان احسب بمثابة أب لها ولكني شعرت بحنو ومحبة والدية نحوها وعرفت لذة الوالدين حينما كانت تنام على ذراعي ويلمس شعرها الذهبي المجعد خدي . ولم ترد ان تتركني ولا لحظة وتظهر كل الارتياح الى سماع القصص التي كنت اسردها عليها وعلى اخيها فيبس من الحروب والغارات التي لاقيتها . وغار الوالدان مني . وقد اقرا بذلك وقال تنكريد ما اتى بهذا المتشرد ولسوء حظنا قد مات حمارنا . ولم يطلعني المذكور على سبب سفرهم ولكن اجنور كانت تحدثني كل شيء حتى تاريخ حياتها قالت انها ولدت مع اخيها بيوم واحد في لسكون بمقاطعة نفوا وفي ايام عز ان دوتريش كان دوق دي رندان من المقربين من الاخيرة فاستخلص على املاك ابيها

منها فالتزم المسكين ان يذهب ويلتجي باحد رفقاءه بالحرب الذي لم يكن جيبه اوسع من جيب أبيها بكثير . وسكنا عند هذا الصديق بكوخ حقير بجانب قصر ابنة ملك اسبانيا . وفي احد الايام تاهت اجنور عن الطريق ودخلت بستان الملك واذ كانت تعبة جلست على احد المقاعد وقطفت بعض اثمار البرتقال لارواء عطشها فأتى البستاني وأمسكها وأمر بجلدها عبرة لغيرها . فسمعت ابنة الملك الضجة وتطلعت من نافذتها وحين علمت ما الخبر صاحت بالبستاني ان اترك هذه البنت فانها صديقتي . فاصعدوا اجنور لعندها فسرت ابنة الملك بها جداً وصارت تقبلها وتقول لها قد قلت انك صديقتي لكي اخلصك وتكونين من الآن فصاعداً صديقتي بالواقع . وبالحقيقة صارت من ذلك الوقت صديقتها وذهبت مراراً عديدة لزيارتها

وحين تزوجت ماري تريز اي ابنة ملك اسبانيا صديقة اجنور لويس الرابع عشر طمع تنكريد باسترجاع املاكه مستنداً الى صداقة ابنته مع امرأة الملك وترك كوخه وقصد

فرنسا . والتقيت انابه على الطريق وتعارفنا كما بينت لك

ووصلنا في مساء يوم من رحلتنا الى اورليان وقد تعب الولدان وكذلك الأم وقصد تنكريد احدى قريباته العجائز هناك وطلب منها ان تقبلنا عندها فأنكرت عليه هيئته وقالت ان شريفا من سلالة فالوا لا ينبغي ان يكون بهذه الهيئة وبعد اللتي واللتي سمحت لنا ان ننام في احد الاقبية القديمة خارج قصرها وفي اليوم التالي وهو يوم الاحد اخذت الاولاد الى عين وغسلت وجههما ومشطت شعرهما وقدتهما الى الكنيسة حيث علمت ان العجوز تكون هناك وحين رأتهما احبتهما جداً وسألتني من هذان الولدان فقلت انهما ولدا تنكريد دي غرالي

فسرت بهما وأمرتني ان احضر اباهما وأمهما وقالت انها تقبلهما بقصرها . وبعد ان مكثنا مدة عندها كان تنكريد يطلب منها بالحاح ان تقرضه اربعمائة ليرة واعداً بان يعوضها بعشرة آلاف واخيرا ملت منه وكي تتخلص من الحاحه اعطته المبلغ المذكور على شرط ان تبقي الولدين

عنـدها فقبل الاب وهكذا بقي فيس واجنور في قصر مونتارجس عند عمتهما وطلبت ان ابقى معهـما فلم يتركاني وقالا ان اجنور تولعت فيّ كثيرا ويجب ان تنساني ففارقتهما مرغما ورجعت الى باريس حيث اقف كل يوم عنـد الجسر الجديد منتظرا ان يستخدمني احد لمقاومة خصم له اوللانتقام من احد مهينيه . اما تنكريد فانه توصل بما اقترضه من الدراهم الى اقامة دعوى واسـترجاع املاكه التى استخلصها منه الدوق دي رانـدان . وقد سمعت بعض الناس يقول ان سيدك الذي تخافين منه يكون الوريث الوحيـد له لولا وجود الولدين الذين تكلمت عنهما

— ليس لي سيد ولست اخاف من احد

— وقد عرض علي المذكور اي الشيفاليه دي غرالي ان يستأجرني وسيفي . هـذه الليلة فرفضت . ثم ان الكونت دي فوا الذي كان بالامس يسمى تنكريد دي غرالي يمر هذه الليلة على الجسر الجديد مع امرأته . هل عرفت الآن لماذا تركت الاكل حين سمعت صوت اطلاق الرصاص

فاصفر وجه لاباسكيز وقالت انك احمق . وعلى فرض انهما تحت خطر فدعهما وشأنهما انسيت انهما طرداك

ـ انهما والداها ؛ ولكن لاشيء يدلني ان ماسمعته من صليل السيوف ودوي الرصاص انما كان عراك الكونت دي فوا مع اخيه الشيفاليه دي غرالبي ليقتله هـذا الاخير ويستولي على املاكه بعد ان يدبر حيلة يخفي بها الولدين ولا يخلو الامر من منازعات تحدث كل يوم على الجسر الجديد

ثم ساد الصمت قليلا وقطعتـه لاباسكيز بقولها وما تعمل ياصديقي لوعرفت ان احدا يقتل صديقة الملكة اجنور فانتصب فلامبرج والشرر يتطاير من عينيه وصاح بحنق لوكنت انت بذاتك لقتلتك . ولو كان الملك لقتلت الملك

فنظرت اليه مستفحصة وقالت نعم انت هو الرجـل الذي ماقتش عنه وأخرجت من جيبها كيسا مملوءً بالدنانيرا وقالت والآن خذ هذه الدراهم واشتر ملابس تليق بك وغدا في مثل هذا الوقت تعال واقرع باب حانة لوجي دي دام ماري

فيحضروك لهنا . لاني الآن صرت اعرفك تماما وغدا تعرفني انت وسأقص عليك قصتي

واعطته يدها فأخذها وقبلها ثم اوصلته الى باب الممر واغلقت الباب بعد ان قالت له الى الغد

ورجعت الى الغرفة وهي تقول بنفسها لقد وجدت الرجل . واذا اتفق رجل بمثله مع امرأة مثلي فأي صعوبة تردهما

ثم تطلعت نحو الباب الثاني وهزت رأسها وقالت. هو هنا سكران من الخمر ومن الغضب وهو ينتظرني كذئب . وانا احسب نخادمة له وكل الناس تقول اني سلمت مالي وجمالي له ولكني اكرهه جداً انه كريه وجبان وشرس

ومشت بسكون نحو الباب وفتحته ودخلت في الغرفة الثانية . وما كادت تخطو خطوة واحدة الا واحست بيدين امسكت شعرها وجذبتها فلم تتكلم الا انها من شدة الالم اضطرت ان تحرك رأسها حسب حركة اليدين . وصاح الشخص الذي لم يكن غير الشيفاليه دي غرالي آه يالئيمة

تظنينني احمق وتقضين ايامك ولياليك مع احد عشاقك . لقد كنت الآن مع احد اعدائي

فأجابت ماريوت بصوت ضعيف ومنكسر نم ياسيدي الشريف لقد كنت مع هذا الجندي الشاب الذي ذكرته لي مراراً وقلت انك تبغضه جدا

فتركها غرالي ليستند الى طاولة كانت بجانبه اماهي فقالت الا تعتقد باخلاصي الشديد لك

فضحك الشيفاليه ضحكة شديدة ورفع

اما هي فقالت بانكسار لاتضربني ياسيدي

اذا كان هذا يحلو لك فلا تتأخر ولا شيء يمنعني من ان اخدمك

فأنزل غرالي يده وقالت بهزء هذه رواية جديدة لقد كنت تغازلين هذا الشاب لاجل خدمتي اليس كذلك ؟

ثم صار يضحك الى درجة لم يقدر بها على الوقوف فجاس على اخد الكراسي اما لاباسكيز فقالت وهل لي مصلحة غير مصلحتك ياسيدي الشريف الست شريكتك . الست مزمعة

ان اصير امرأتك ؟

— امرأتي ! امرأتي ! قال هذا وهو يقهقه ضحكا

وجلست ماريوت عند قدميه واخذت يديه وصارت تقبلهما وقالت له اني اساعدك انت الرجل الشجاع والقوي بالاستيلاء على املاك اخيك بما اقدر عليه من الحذاقة والخداع . والان لم يبق بينك وبين الارث الا ولدين صغيرين . وبسبب مغازلتي لهذا الشاب الذي ذهب الان عرفت موضعهما

الفصل الثالث

ابنة مطيعة

ولكي نزيل دهشة القارئ من كيفية التصاق ماريوت لاباسكيز بالشيفاليه دي غرالي مع كرهها الشديد له نقول :

لقد ذكرنا قبلا شيئا كافيا عن معرفة الشيفاليه لماريوت حينما كانت لاتزال ولدا . والان نذكر ماجرى بعد ذلك

رجع الشيفاليه من الحرب بعد ان صارت ماريوت فتاة جميلة وقصد ان يرجع الى ما كان عليه قبلا فرفضت قبوله

اذ سمعت انه جبانا خسيسا وانه خان وطنه وانحاز الى الاسبانيول ولكنه مابرح يستعمل الوسائط الفعالة حتى دخل في خدمتها من جملة رجالها . وفي احد الايام دخل غرفتها فرأى عندها شابا ظريف الشكل فاغتاظت ماريوت من دخوله وهمّ الشاب ان يقتله ويرميه من الشباك الا ان غرالي صار يستغيث بمروءته فتركه هذا يقترب منه ولما صار الشيفاليه بقربه امسكه من كتفيه وضغط عليه فصرخ هذا من الالم فامرته ماريوت ان يتركه فلم يفعل بل زاد الضغط حتى ان الشاب ركع امامه يستغيث وحين رأت لا باسكيز ماعليه من القوة امرت الشاب ان يخرج واجلست الشيفاليه موضعه وبعد ان شرب قليلا قال لها اني حذرت ماتطلبين انك غنية ولكن الناس لايحترمونك وليس لك لقب تلقبين به . فهل لك ان نشترك من الان وصاعدا وأنا اؤكد لك بانك بعد ثلاثة اشهر تلقبين كونتة

ومن ذلك اليوم ابتدأت صداقتهما

ونعود الان الى سياق حديثنا فنقول بعد ان سكنت

لاباسكيز غيظ خليلها جلس هذا امام المائدة وأمرها ان تحضر له خمرا فلبت هذه حالا وبعد ان شرب قليلا قال ان هذا الخبيث فلامبرج قوي جدا ولكنه ضعيف القلب ليس عنده الشجاعة بان يقتل اعداءه حينما يقدر على ذلك . لقد ذكرت لي الآن بانك تعرفين مقر الولدين أهذه آخر الاخبار عندك ونحن عرفنا ذلك من زمان وسيذهب الليلة رجالي لاختطافهما . فقد تهيأ كل شيء ... انني نعسان جداً ساعديني على خلع ثيابي

ومد رجله التي كانت كرجل احد العمالقة واخذت تخلع نعليه وبعد ان خلعت احداهما قالت لله ما هذه العضلات الفولاذية انك ستعيش مائة سنة

فرفع رأسه متكبرا وقال لا يليق بلقب الكونت دي فوا الا انا وسيتم لي ان شاء الله عن قريب ما ارغب فيه

— كم احبك ياسيدي الشريف

— نعم نعم هذا اكيد عندي ومن النوادر ان توجد امرأة مخلصة مثلك والآن قولي لي اين وضعت التعهد الذي

كتبته على نفسي

— انى احفظه دائماً على قلبي

فاقترب منها الشيفاليه وقبل شعرها وقال هل تريدين ان تريني هذا التعهد ؟

فمدت يدها الى صدرها وامسكت قبضة خنجر ثم ترددت قليلا واخرجت ورقة مطوية واعطته اياها قائلة هاهي ياسيدي الشريف اني لا امنع عنك شيئا

فأخذها من يدها وقال ان النساء يستعملن بعض الاحيان حيلا لتضليل عشاقهن فقربي النور مني لارى هل هي الورقة بذاتها

— هل تظن باني اغشك ياسيدي الشريف

واحضرت النور ففتح غرالبي الورقة وقرأ مايأتى

« باسم الاب والابن والروح القدس آمين

« انا فرنسوا انطوان دي غرالبي فوا اقسم بشرفي وبحياتي بان اتزوج ماري دى ماس دازيل الملقبة بماريوت وايضا « بلا باسكيز اذا سمحت ارادة الله بان اكون صاحب لقب

« الكونت دى فوا الملقب به اخي الاكبر تنكر يددي غراليي

— قد امضيتها باسمى صريحا . ولكن الاترين ياعزيزتي انه اذا وجد تعهد يربطني فلا فضل لي بزواجك

فلم تجب ماريوت بشيء بل تنهدت اما هو فمزق الورقة ووضعها على ضوء الشمعة واحرقها

— مارأيك الان في كل هذا ؟

فاجابت لا باسكيز بصوت يرتجف قليلا اقول ان الحق معك ياسيدي الشريف واني اعتقد بك كما اعتقد بالله

ثم قادته الى سريره وغطته اما هو فلم ينم حتى رأى ماريوت قد ملأت جيب الثوب الذى خلعه من الدنانير فقال لها انك ابنة طيبة القلب . اسعدت مساء ثم وقفت بالباب وصفرت فحضر احد الخدم فأمرته بأن يحضر لها سريرا وينصبه امام الباب فأطاع الخادم

وقالت للشيفاليه ستنهض ياسيدي الشريف غدا وأنت كونت كل أمالي فيك انت الذى احبك واعتبرك ومن الان فصاعدا يجب ان احرسك لان حياتك هى عندى اثمن

من كل كنوز العالم

الفصل الرابع

كيف وجد فلامبرج لاموسكاد

ترك فلامبرج لاباسكيز ومشى في الممر المظلم لا يرى امامه شيئا من شدة الظلام وتوقع ان يرى نورا عندما يصل الى الحانة ولكنه لم يجد غير الظلام ايضا . وانتظر ان يسمع غطيط السكارى الذين رآهم حين دخوله الى الحانة وجعل يمشي على مهله لكي لا يصدم احدا منهم ولكنه لم ير شيئا ولم يسمع شيئا بل وجد نفسه وسط سكون فازعجته تلك الحال واحس بكثافة الهواء الذى يستنشقه وكاد يغمى عليه ولكنه تجلد ومشى الى ناحية الباب قاصدا ان يفتحه ليدخل الهواء النقي فيستنشقه ويعود اليه صوابه ليفتكر مليا بكل ما رآه وسمعه منذ قليل عند لاباسكيز مما كان اشبه بالحلم وحين قارب الباب سمع صوت غطيط خفيف فتوقف وقال من النائم هنا فلم يجبه احد فعاد عن الباب وتوجه نحو الصوت

ولكن الصوت انقطع فوقف في وسط الظلام حيران لا يدري اين يذهب وعاد الغطيط ثانية وانقطع فقال فلامبرج في نفسه ربما كان صوت كلب نائم الا انه سمع بعد قليل الفاظا متقطعة كمن يحلم . سمع صوتا يقول ياحبيبتي ما رينت ! آه ما أحلاك يافانشون الشقراء وانت ياشارلوت ذات العيون الحلوة فاندهش فلامبرج وقال في نفسه يظهر ان هذا النائم عشيق احدى عشر الف عذراء كاخي لاموسكاد . ثم مشى الى حيث خرج الصوت واخيرا اهتدى الى شخص نائم على احدى الطاولات فاقترب منه وهزه فلم يفق بل صار يهذي ويقول سوسان ... حبيبتي انت ياماريون ... آه ياليزيت ذات الشعر الاسود الجميل

فلمس فلامبرج وجهه الذي كان كبيرا ملتحياً ثم لمس جسمه فوجده قصيراً جداً كجسم ولد فصاح بالله ان هذا أخي جانو بنفسه . كيف أتى الخبيث الى هنا ؟

وعندئذ صاح النائم من هنا . اشعل النور أيها الحانوتي وضع سلاحك فان خمسين شقيا يريدون الهجوم على المحل

اما فلامبرج فجعل يسكن روعه ويقول له اخي جانو هذا انا اخوك فلامبرج انسيتني ياجانو . وأخذه بين ذراعيه فأفلت هذا منه بقوة وتدحرج على المائدة وقلب القناني فتكسرت وارتفع صوتها فأفاق جانو على الضجة وقال أحقا انك اخي غاستون . اين نحن الآن فان الظلام حالك هنا حتى لايقدر الانسان ان يرى اصبعه . هل نحن محبوسان أم سكران

— لا أعلم هل انت سكران . ألم أوصيك مراراً ان تبتعد عن المشروب وعن المحلات المفسدة والان أجدك في هذا المحل !

— وانا اجدك فيه ياعزيزي غاستون . ولكن دع تعنيفك وقل لي أين نحن الان أولا اقدر ان اجد قدحا من أي نوع كان من المشروب لاني اكاد اموت من العطش

ثم نهض فقرقعت القناني حوله ووقف على احد البنوكة بجانب اخيه فكان وهو على البنك بطول فلامبرج الذي كان على الارض وقال لقد رجعت الي ذكرتي الان فان

هؤلاء الاشقياء سقوني كثيراً وضحكوا علي

— هل تتكلم عن الذين كانوا هنا ؟

وقدح لاموسكاد زناده واشعل مشعلا وقال احب ان أرى كل شيء حولي . وقلبي يحدثني يا اخي ان المركز حرج واننا نحتاج ان نتحدث قليلا . ولكن دماغي متعب وسيعود الى رشاده اذا شربت قدحا من المشروب

ثم اقترب من قنينة فوضعها على فمه وصار يشرب

وكان جانو الملقب بلاموسكاد يبلغ الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين من عمره قصير القامة جداً ذا وجه جميل يكسيه هيئة الرجولية ولحية سوداء . خفيف الروح يحب الضحك كثيرا ذا ولوع شديد بالجنس اللطيف ومع صغر سنه فانه قد اثقل ضميره بثلم صيت كثيرات من العذارى وكان يفتخر بذلك ويستاء جداً حينما ينكر عليه سامعوه دعواه بهذا الشان

وبعد ان شرب قال لاخيه هل تريد ان تشرب ؟

— كلا ولكن اخبرني هل عاد اليك صوابك لتعطيني

بعض ارشادات

— نعم فسأعطيك كل ماتريد من الارشادات . وقبل ان تسألني أريد ان تنزع فكرك السيء من جهتي ياأخي فاني لم اعش عيشة دناءة كما تظن وكنت دائما افتكر بك وبالكاد كنت أجد ساعات قليلة اصرفها مع احدى الجميلات وباقي الوقت اصرفه بالافتكار بك لانك انت الوحيد الباقي من عائلتي

— قلت انك صرفت السهرة هنا فبماذا كان يتحدث الموجودون

— تحدثوا عن معركة قالوا انهم ذاهبون اليها الليلة

— وهل ذكروا امامك اسم الكونت دي فوا؟

— نعم نعم لقد سمعت هذا الاسم وقد قتلوا المذكور هذه الليلة مع امرأته على الجسر الجديد .... ولكن مابالك اصفريت اما فلامبرج فتغيرت هيئته وصار يفتكر وأخيرا أفاق وقال من لي ان أجد فرسا الآن ! وضرب على كيس الدنانير الذي اعطته اياه لاباسكيز . فنظر اليه جانو بدهشة وقال هل حملت حملة بسيفك فربحت هذه الدنانير . اما

فلامبرج فلبث ساكتا

وبعد ان اطرق لاموسكاد قليلا رفع رأسه وقال لقد عرفت الان ماسبب اصفرارك ان الكونت دي فوا وامرأته هما والدا صديقتك الصغيرة التي تحبها جدا

— من يعلم ربما كانت هذه الصديقة في احتياج الان الى مساعدتي

— لاتهتم يا اخي فسأجد سيفا وأنت معك سيف يعادل عشرة

— وهل لفظوا امامك اسم مونتارجيس ؟

ففكر جانو قليلا وقال نعم نعم اتذكر ذلك وقالوا انهم سيذهبون الى مونتارجيس حيث يوجد قصر قديم مسكون بالعجائز

— هذا هو بذاته يجب ان أجد فرسا حالا

— أتجد فرسا بهذا المحل يجب قبل كل شيء ان نترك هذه الحانة ثم اقترب من الباب ليفتحه ولكنه وجده مقفلا فامسكه فلامبرج وخلعه بسرعة وخرجا فقال لاموسكاد آه

ما اقواك يا اخي بعد سنتين ان شاء الله عند ما اصير بعمرك اتمكن من خلع باب كهذا

وخرج فلامبرج بالاول وتمايل قليلا عند ما استنشق الهواء النقي وقال اين نذهب الان

ـ نذهب لنفتش عن خيل

ـ وهل تعرف اين نقدر ان نجد خيلا ؟

ـ هذا يتوقف على الساعة التي نحن فيها الان فان الخيل التي اقصدها تذهب وترجع من هذه الناحية . اذان رجال الحرس الليلي يمرون الساعة التاسعة بشارع سانت انطوان والساعة العاشرة يذهبون الى شارع سان مدار والساعة الحادية عشرة يرجعون الى شارع دوفين . وعلينا الان ان نعرف الساعة لنعلم اي طريق يجب ان نتخذ

وبعد قليل دقت ساعة نوتردام دقة واحدة فتنهد فلامبرج وقال ان حظنا قليل هذه الليلة فقد دقت الساعة نصف ولم نستفد شيئا وقبل ان يكمل كلامه سمع وقع حوافر فقال جانو قد عرفت الوقت فالساعة الان الحادية

عشرة ونصف وبعد قليل يذهب الحرس الى حانة مدام كوبو بشارع سانت ايستاش فيصعد تسعة منهم لارتشاف الخمرة ويبقى ثلاثة لحراسة الخيل

فجرد فلامبرج سيفه وقال فلنتبعهم فأنا موقن بالحصول على الخيل ولو كانوا ستة رجال عوض ثلاثة هلم الان ياجانو

وكان الحرس المذكور مؤلفا من اثني عشر من الفرسان يطوفون كل ليلة بعض شوارع معينة في باريس لايتعدونها

وعند ماوصلوا الى آخر شارع سانت ايستاش تطلع قائدهم الى الطابق الرابع فنظر البيت منارا فالتفت الى رفقائه وقال ان خمر مدام كوبو يدفئ في هذه الليلة الباردة اما سان جان ومارتن وبيشو فيبقون هنا لحراسة الخيل والباقون يقدرون ان يصعدوا معي

ثم نزل عن فرسه وهكذا فعل ثلاثة ارباع الباقين وبقي الثلاثة المعينون لحراسة الخيل

وظل هؤلاء الثلاثه مدة ينتظرون رفقاءهم ويتسلون ببعض الاحاديث ثم تطلع مارتن نحو آخر الشارع وقال يلوح

لي اناس مقبلون علينا واذا كانوا من الاشقياء فيجب ان ننبه رفاقنا ثم وضع أصبعيه في فيه وصفر فتطلع قائدهم من الشباك وقال ما الخبر — اسرعوا ؛

وبعد قليل سمعت اصوات اقدام الحراس على الدرج ولكن بعد فوات الفرصة اذ بينما الثلاثة يتطلعون الى فوق منتظرين عودة رفاقهم لم يشعروا الا وضربة قوية أتت على رأس اثنين منهم فوقعا على الارض اما الثالث فشدت على خناقه يد قوية وسمع صوت يقول له هل سمعت بشجاعة رجال أخي الملك فيمكنك الان ان تحدث عن شجاعة المسيو دي كيش والشيفاليه دي لورين. ثم امتطى الشخص علي الفرس وامتطي رفيقه على فرس اخر . وعند ما نزل بقية الحرس رأوا رفقاهم مطروحين على الارض وفارسين مطلقين لفرسيهما العنان

وقد علم القارئ ان الشخصين لم يكونا سوى فلا مبرج واخيه لاموسكاد وكان فرساهما يسرعان جداً حتى انهما بعد قليل احتجبا الحراس عن نظره وعند ذلك قال جانو وهو متمسك برقبة الجواد لقصر رجليه وضخامة جثة الجواد حقا

اننا ابطال يا أخي . تبا للذين اسكروني في حانة ترو يكيفيل. لم يصدقوني انى حربي بالفطرة . الست انا الذى دللتك على الخيل يا أخي ؟

ـ نعم انت وليس الان وقت الكلام سق فرسك واسرع

ـ نعم اسوق يا أخي ولا اخاف كاني جالس في البيت ولكن قل لي بربك الست انا الذي اخذتك من شارع برتن بواري لتتمكن من الهجوم عليهم والست انا الذي قلت لهم تمويها عليهم اننا من رجال أخي الملك

ـ قد خلقت لتكون قائدا ياجانو الصغير

ـ انك تضحك مني يا فلامبرج ولكن من يعش ير

وعند شارع سان ميشال بدلا من ان يذهبا طولا اختارا طريقا ضيقا لتضليل الحرس فى مطاردتهم وبعد ان مشيا مسافة وقفا وانصتا فانقطع الصوت تماما وقال جانو بالك من قوي ياغاستون فان ضربتيك ارمت حالا الفارسين ... ولكن بربك ساعدني على تقصير ركابات السرج فنزل فلامبرج وقطر الركاب وامتطي ثانية اما جانو فحين وضع

وجليه بالركاب صاح فليأت من يريد الان وسالقى الالوف بسيفي . ومن الان وصاعدا كلما احتجت يا أخي الى بطل يرافقك في حروبك فتعال الي انى مستعداً . قل بربك الايحق للنساء ان تحبني

ـ دع الكلام الان واسرع

ثم ضربا الخيل بالمهماز فجرت كالريح وبعد دقائق قليلة صارا خارج المدينة فتنهد فلامبرج وقال الان استراح فكري قليلا

ورأى جانو اخاه على ظهر جواده كالبرج المشيد فاعجب به وقال حقا انك فارس ذوقامة مهيبة ولكن النساء تفضل اخيانا قصيري القامة ... اني متعب ياغاستون ويظهر ان هذا السرج قاس

ـ انك لم تعتد الركوب . وغداً تتألم كثيراً ولكن بعد اسبوع. تعتاد تماما أن تركب على السرج كمن يقعد على كرسي

ـ بعد اسبوع انها مدة طويلة

وجعل جانو يتكلم كثيراً ويتمدح مثنيا على رشاقته قائلا

ان النساء تحبه جداً وفلا مبرج صامت لا يتكلم بل يفكر بالخطة التي سيتبعانها . وبعد صمت طويل قال لجانو سنسبق الاشقياء ان شاء الله وننحاز الى أهل قصر مونتارجيس الذين يحامون عن فيس واجنور وندافع عنهم ونخلصهم

ـ اذا كنت تقصد قصر مونتارجيس فخذ الطريق التي على شمالك يا أخي لاننا ان ظللنا على طريقنا هذا وصلنا الى قصر سو ... آه ياغاستون اني متعب جداً على هذا السرج المشؤوم دعني اقص عليك ما جرى مي هذا المساء لكي اغفل عن ألمي قليلا . ذهبت المساء الي الجسر الجديد فسمعت الناس كلهم يقولون انه يوجد رقص هذا المساء عند لاباسكيز و بما اني من المغرمين بالرقص هرولت حالاً . وكنت قد سمعت قليلا بجمال لاباسكيز فزاد في ذلك رغبة واملت ان أرى هناك فلورت ونينون وباستيين . وعند ماوصلت الى الباب نفضت حذائي وقبعتي واصلحت شعري قليلا بيدي . ورايت على الباب امرأة تداعب كلبا فقالت لي قبل ان ادخل ماذا تريد أيها السيد الشريف . اترى ان الكل

يظنونني شريفا لان هيئتي تدل على العظمة . اما انا فاجبتها اني أريد ان ارقص فادخلتني حالا . وبعد ان انتظرن قليلا لم ار أحداً يرقص بل وجدت الكل يأكلون ويشربون ويتكلمون فاردت ان انسحب ولكن بسبب مالي من الشهرة صار كل الموجودين يقتربون مني ويكلمونني ويشربون على نخبي وخصوصا النساء بينهم وهم يقولون هذا هو السيد جانو الملقب بلا موسكاد .... لقد وصلنا الان ياأخي الى شوازي لوروا ويظهر انك لا تعرف الطريق فهل تحب ان تتبع الاشقياء أو تأخذ طريقا اخر؟

ـ احب ان أمر على جثثهم : فلنتبعهم

ـ اذهب اذا في طريق لونجيمو . اذلا بد لهم من ان يمروا في هذا الطريق ليغيروا خيلهم ... هاها الان تذكرت انهم انقسموا الى فرقتين احداهما تقدمت الاخرى . تذكرت اشياء أخرى أتمولها مع اقراري بخجلي فقد تكلموا عنك أيضا وعن ابنة الكونت دي فوا الصغيرة ولكني كنت مشغولا بما يقدمونه الي من الاعتبار والاكرام . وهكذا

بقيت أشرب طول مدة الاجتماع ولم أعداهتم لما يقولونه عن مقتل الكونت دي فوا وامرأته وعن قصدهم بانتشال ولديه فيبس واجنور

– وماذا كانوا يقولون ؟

– قالوا ان الكونت دافع عن نفسه وعن امراته دفاع الاشراف قبل ان مات

– دعنا منه فلا ينفعا الندم الان

– اما الولدان فانهما حيان وقد ذهبوا لاختطافهما وسنمنعهم نحن عن ذلك وقد قال البعض انهم سيقتلونهما بعد اختطافهما والبعض الاخر زعم ان ذلك يعد خطيئة وان الاحسن وضعهما في احد الكهوف وبيعهما الى احد الاشراف الجوابين في جزيرة سان دومنغ أولا تورثو اما جيشهم فترتيبه على مايأتي في المقدمة يكون الرئيس غالبريين ومعه برندامور وعشرة من الفرسان يهجمون على القصر وينتشلون الولدين واذا لم ينجحوا فينجدهم القسم الثاني الذي يذهب وراءهم وهو مؤلف من أكثر من ستين رجلا

فيحاصرون القصر ولا يزالون حتى ينالوا غرضهم
ياغاستون ان جلد افخاذي تشققت من هذا السرج الملعون
ـ واتذكر تماما الان اني بقدر ما شربت عرضت عليهم
ان اكون رئيسهم بهذه الحملة متعهدا ان اهدم القصر كما تهدم
الخيمة . ولو ذهبت معهم لفعلت كذلك واكثر فان عندي
كل صفات القواد العظام

وتوقف لاموسكاد اذ رأى اخاه توقف بغتة ورأى
امامه نقطة سوداء . وسحب فلا مبرج سيفه وقال اتبعني
أيها الصغير . سنقفز عنهم أوندوسهم
ـ لاتخف يا أخي دعني أسبقك . ولو كنت استصعب
سحب هذا السيف الطويل لغير اعتيادي ذلك الا انني بطل
عظيم

فلم ينتبه له فلا مبرج بل اطلق لجواده العنان وتبعه
أخوه

الفصل الخامس

وقعة

ولما صارا على بعد نحو مئة خطوة من العصبة انفرد من هؤلاء عشرة فرسان ووقفوا ينتظرونهما

وكانت هذه العصبة مؤلفة من نحو مائة رجل بعضهم على الخيل والبعض الاخر مشاة مسلحون بسكاكين المطبخ والنبابيت وكانت الفرقة الثانية من الجيش الذي أرسل لاختطاف فيس واجنور

وعند مارأى فلامبرج الفرسان قال لاخيه كن دائما بقربي واتبع خطواتي

وفي تلك اللحظة سمعا احد الفرسان ينادي من الآتي ؟

فلم يجبياه بل اطلقا لفرسيهما العنان ومر فلامبرج كالبرق والسيف مشهور بيده وهو يضرب صفحا بحسامه من يلاقيه لان قلبه كان رقيقا الى حد انه لايجسران يضرب بحد حسامه ويجري دما

وبعد ان ابتعد عنهم تطلع الى وراءه فلم يجد اخاه ولكنه سمع صوتا يقول آه منكم ايها الانذال تغدرونني الان افوالله لوكنت متمرنا مثلكم على ركوب الخيل وضرب السيف

لطيرت رؤوسكم كلكم . ولكن خذ هذه الضربة أيها الشقي! انت أيها الخبيث ..

وعرف فلامبرج صوت جاتو فرجع يعدو كالبرق ووجده بين ستة رجال يكادون يخنقونه فهجم عليهم وفرقهم عنه . اما لاموسكاد فصار يقول ان الحق ليس على يا أخي لاني لم اعتد تماماً فساعدني على النهوض فان رجلي انقطعتا

ثم وقف وقال لالا لقد غلطت ولم ينقطع غير الركاب ... لقد تمسك برجلي احد هؤلاء الاشقياء وشدني بعنف فسقطت ولكني ابليت فيهم بلاء حسنا ولولا ان السيف الذي أحمله اطول مما يلزم لفرقت جمعهم وان شاء الله ساقصره عند ما نرجع الى باريس أو اشترى غيره اذا ساعدت الاحوال

ـ اصعد حالا ولا تضع الوقت بالكلام

ـ ولكن قل لي بربك هل نحن عازمون ان نمر بتلك الفرقة امامنا

ـ نعم فعجل

ـ اذاً دعني اركب وراءك اذا كان هذا لا يثقل عليك .

فانهضه فلا مبرج واركبه وراءه وجانو لم يزل متمسكا بسيفه الطويل

ـ لاتخف لاتخف ياغاستون وسا كون لك كترس من الوراء واضرب عنق كل من يطوله سيفي

وكانت الفرقة التي انفرد عنها الفرسان العشرة امامهم بنحو نصف كيلومتر وهم ينتظرون رجوع رفاقهم الا انهم ماعتموا ان رأوا فارسا يطير كالبرق متوجها نحوهم وحين اقترب منهم كان القمر غائبا فراوا على ظهر جواد فارسا له أربعة ايدي وسيفان فتعوذوا بالله وصاروا يفرون على اليمين وعلى الشمال فردهم قائدهم غرنشوار وصاح اطلقوا النار : فاطلقت نحو عشرون بندقية وصاح جمع غفير منهم من الالم وسقطوا الان الظلام اعمى بصيرتهم فلم يدروا أين اعداهم . وطلع القمر ساعتئذ وبان الشخصان على جوادواحد فاجتمع حولهم القطيع كله وأحاط بهم فصار فلامبرج يضرب

بسيفه صفحا ليجعل ممرا ولاموسكاد يساعده من الوراء ولاحت لفلامبرج فرصة فضرب مهماز جواده فخرج هذا يعدو كالبرق ومازال محدآ الى ان قطع مسافة فاوقف جواده وقال كيف رايت الحرب أيها الصغير؟ فلم يسمع جوابا.

فقال هل جرحت ومد يده ولمس وراءه فلم ير احداً فصاح أين أنت ياجانو ورجع بجواده الى المعركة را كضا وهو يبكي ويقول قتلوه ! مكسين انت ياجانو. ووصل اليهم ورأى فارسا يقترب منه فاشرع السيف وهم بضربه الا ان صوتا اوقفه وكان ذلك الصوت صوت لاموسكادوهو يقول لاتتعب نفسك بالضرب ياأخي فلقد احضرت اسيرا معي

فصاح فلامبرج بفرح هذا انت ياجانو . الم تعدني بانك لاتتركني ابداً فلماذا تركتني

ـ اسمع قليلا لاحكي لك القصة ولكن دعنا نبتعد عن هؤلاء اللئام أولا . لما وخزت جوادك لم أكن منتبها فسقطت الى الارض ولم ينتبه الجماعة الى للحاقهم بك فاغتنمت الفرصة وذهبت الى العزيز تورنكه الذي تراه معي وكان على بغلته

هذه وقفزت وراءه وامسكت يدي بخناقه وامرته ان يجري والا خنقته ويظهر ان له ذوقا فلم يرد ان يخالفني واؤكد لك انه ينفعنا . وقد كسبنا البغلة أيضا ياأخي التي تربحني بكثير أكثر من ذلك الجواد الضخم

وظل الثلاثة مجدين السير . وحين طلع الفجر دخلوا مزرعة وغيروا جيادهم دافعين الاجرة من الدراهم التي أخذها فلامبرج من لاباسكيز واكملوا طريقهم وقبل أن يذهبا انفرد فلامبرج ولا موسكاد وبعد محادثة طويلة بخصوص تورنكه الذي كان يظهر لهم الاخلاص وانحيازه معهم بعد الاسر قررا مايأتي :

تورنكه خائن لامحالة ولكنه لا يقتل فلربما احتاجا اليه لحيلة ماوانهما يعداه انه اذا كان سلوكه حسن معهما يعطياه عشرين بستولة والا يطير رأسه بضربة من سيف لاموسكاد

الفصل السادس

مكتب الملك

كان عند لويس الرابع عشر شهر العسل في ذلك الوقت الذي قضاه في باليه رويال موقتا بينما يتم بناء قصر جديد . وشغف لويس جدا بعروسه الجديدة وترك معشوقاته العديدات اللواتي من جملتهن مدموازيل مانسيني ومدام سواسون ومدموازيل دي لافاليار واعلن للكل حين اقترانه بان العروس الجديدة يجب ان تعتبر ليس فقط كملكة بسيطة بل كامرأة لويس الرابع عشر

وكان الملك جميل الطلعة جداً حتى انه قل أن يوجد رجل بهائه وهيبته الا ان عيبا واحدا كان فيه وهو قصر قامته

وافاق الملك في الصباح الذي وصل اليه فلامبرج وأخوه الى المزرعة كما تقدم ذكر ذلك وهو مشروح الصدر وصار يتطلع بمرآة وهو يعجب بخلقته الجميلة ثم ذهب الى سرير الملكة الجديدة وأيقظها بقبلة وقال لها انك تشبهين أمي في ايام جمالها

فنظرت اليه وتبسمت وقالت كم أنا سعيدة هنا يا عزيزي لويس وانني لا اشتهي شيئا في العالم عند ما تكون بجانبي فانك طيب القلب جداً الى درجة تسمح لي حين اقص تذكارات أيام صباي

— هل حلمت هذه الليلة باسبانيا ؟

— لقد حلمت بتذكار يختص بك ... او بجلالتك

أما الملك فبدلا من ان يعترض على هـذا التصحيح قال ان الاحترام لا يمنع المحبة يا عزيزتي

— بل بالعكس اذ أشعر باني أحبك أقل لو لم أعتبرك جـداً وهـذا التذكار هو يوم قدم لي أبي صورة جلالتك التي وجدت فيها صورة ملاك وسألني هل تحبين أن تكوني ملكة فرنسا ؟

وكان لويس يصغي لها لان صوتها كان من الاصوات التي تدخل الى القلب وقال وماذا أجبت ؟

— ان في لفظة كلمة فرنسا نغمة تطرب النفس وافتكرت بامـك وعزها و بالحقيقة لم أفتكر الا بك ياسيدي الجبل

— أحسنت يا عزيزتي

— في ذات اليوم امسك البستاني ابنة صغيرة جميلة جداً وجدها تقطف بعض الاثمار في بستان أرانجيز ..

— هل أرانجيز أجمل من فونتينبلو؟

— ان فونتينبلو جميلة جداً ولكنه لا يوجد تناسب بين الاثنين

فضحك وقال انك لا تزالين اسبانيولية ولا تريدين أن تقري بافضلية بلادنا على بلادكم

— انني فرنسوية يا سيدي لانني أخصك

فسر لويس كثيراً وأخـذ يدي زوجته وصار يفركهما وقال

كملي حديثك

— وقصد البستاني ان يجلد البنت ...

— ما أقبح عوائدكم انكم لا تزالون متوحشين

— فطلبت أن يعفو عنها وأصعدتها الى غرفتي وهي ترتعش من الخوف

اني أخجل يا سيدي أن أقص عليك الباقي ... لقد ذهبت مراراً عديدة وزرتها بكوخها الحقير وكان الفلاحون يلقبونها بصاحبة ابنة الملك

— اذا كانت الملكة لاتزال تذكرها فهي بامكانها جعلها شريفة وغنية

فاخذت ماري تريز يد الملك وقبلتها فابعد ليس يده وقال ماهذا!

— اعذرني يا سيدى أصير مسرورة جدا بان اتعلم من جلالتك كيف يجب السلوك في كل الشؤون . ولكني أردت أن أشكر جلالتك على كلامك اللطيف . ولقد رأيت في باريس والدي صديقتي الصغيرة وهما هنا من الاشراف مع انهما كانا في أسبانيا من الفقراء واسمهما اليوم الكونت والكونتس دي فوا صاحبا هذا القصر الحقيقيين

— ماتقصدين بحقيقيين ؟

— سيدي ان تنكر يد دي غرالبي الذي كان صاحب هذا القصر

وفقده منذ أكثر من ثماني سنوات قد استرجعه فهو صاحب اللقب الحقيقي وليس الدوق دي راندان الذي نال اللقب بسبب ما كان له من السطوة ومساعدة والدتك ان دوتريش

فقال لويس بنشافة آن دي فرانس

وبقي عندها مدة يداعبها ثم تركها وذهب الى القاعة حيث كان الاشراف ينتظرونه كعادتهم كل يوم . واول شيء فعله سؤاله عن أخبار أمه وأخبار الكردينال فقيل له ان الملكة طيبة النفس وأما الكردينال فلم ينم ليلته نوما هنيئا

وكان الكردينال مريضا والبعض يظنون انه لايعيش الى تمام السنة وبعد قليل دخل أحد الخدم وقال للملك بان السيد دي نيكولا لاريني رئيس البوليس يطلب مقابلته

— دعه يدخل

فغاب الخادم ثم عاد وقال ان السيد دي لاريني يطلب من جلالتكم مقابلة خصوصية لبعض اشغال سرية ومستعجلة

— ان السيد دي لاريني ذو افكار غريبة ولكنه نصح محنك وشديد العزم . ادخله الى مكتبي الخصوصي ودعه ينتظر

ثم نهض الملك وقبل ان يذهب قال أيها الاسياد يوجد انتقاد شديد على قصورنا هنا فان الملكة وأمي تقولان ان اسكوريال وارانجيير أحسن من كوجيين وفونتنبلو فنأمل أن نعمل أحسن منهما

لاننا في عصر أكثر تمدنا من قبل . وأريد أن نعمل بالو في قصر فونتنبلو لكي تقدر الملكة ان تشاهده جيداً وتنسى زين قصور اسبانيا و يكون ذلك فى هذه الليلة نفسها

وكان من جملة الاشراف فوكه وزير المالية الذي اشتهر بابتزاز اموال الأمة . يبني القصور الفخيمة و يعمل الاحتفالات الشائقة والتفت اليه الملك وقال كم يلزم من الدراهم لبناء منزل لنا من قصرك الى آخر الشارع ؟

فانحنى فوكه باحترام وقال لا أعلم ياسيدي اذا كان يكفي لذلك كل مال الارض

فحدجه الملك بنظرة وقال بصوت منخفض يجب ان يشرق الملك فوق كل شعبه . الا انه يوجد لناس أغنياء اكثر من اللازم بسبب مايبتزونه من اموال الامة

ثم وضع يده على كتف مسيو دي لاميري وقال أني لا أحب ان أجد في مملكتي رجلا بيته أحسن من بيتي

— وهل هذا الرجل موجود ياسيدي ؟

فلم يجبه الملك بل ذهب ليتناول طعام الفطور

اما دي لاريني فلبث منتظراً مدة وأخيرا فتح عليه الباب وظهر الملك فانحنى أمامه مسلما . أما الملك فقال اليوم عيد يا مسيو دي لاريني ولا أقدر أن أعطيك أكثر من ربع ساعة

— اذا كنت لا أقدر أحصل من جلالتك الا على ربع ساعة فسأجتهد أن أستعملها بحكمة

— ولماذا لم تذهب الى الكردينال ؟

— ان الكردينال يتألم جدا ياسيدي

— صدقت ان أفكارنا كلنا مشغولة عليه . ولكن لماذا لم تذهب الى النظار

— الرب يحمي فرنسا . لقد صارت فرنسا في فوضى ياسيدي بعد انسحاب حضرة الكردينال اما الآن وقد صار لها ملك فسيدها ومالكها واحد

فاحمر وجه لويس وأبرقت عيناه وقال متبسما ما يفعل رجل لكثير من الملايين . ولكن ساجتهد بأن لا أخل بواجباتي انك ذو رأي صائب يا صديقي

فلم يجب دي لاريني بل أخرج من محفظة كان متأبطها ورقة معنونة هكذا « تقرير للملك »

وهذا نص التقرير :

« في هذا اليوم ٢ سبتمبر سنة ١٦٦٠ الساعة التاسعة ليلا بينما كان تنكريد دي غرالبي الملقب بالكونت دي فوا راجعا من منزل السيد نيكولادي لاريني مع امرأته أحاط بهم عند الجسر الجديد جماعة من الاشقياء قاصدين قتلهم وبعد أن دافع المذكور عن نفسه

وعن امرأته قدرطاقته سقط قتيلا تحت الطعنات التي أصابته وكذلك امرأته وقد نقلت جثتاهما الى نيابة الشاتليه للتحقيق »

فقال الملك في ٢ سبتمبر ! أى البارحة . ان هذا لمزعج يا صديقي وهل عرف المجرمون

ـ المجرم ياسيدى هو الذى تعود عليه نتيجة الجرم بالفائدة والمستفيد منها هو أخو الكونت المرحوم الشيفاليه دي غراليي أحد الاشرار الساقطين الذي حقر اسم اللقب الفرنساوي بباريس بعدان خان وطنه وملكه

فافتكر الملك قليلا وقال لقد حدثتني الملكة هذا الصباح عن هذا الشخص الذى كسب دعواه من الدوق دى راندان

ـ نعم ياسيدى وقد كسبها البارحة

ـ وقد اظهرت جلالتها اهتماما باينته الصغيرة اذ عرفتها باسبانيا واحبتها وهذا يدل على طيبة قلبها

ـ سيدى ان هذه الابنة لها أخ وهو الوريث الوحيد للكونت دي فوا واذا جلالتكم لم تضعوا حمايتكم عليه . . .

ـ نعم نعم سنحميه هو واخته

ـ سيدي ان لدي موضوعا اريد ان اكلمك عنه وقد سبق ان ذكرت لجلالتكم بعض كهوف تصنع تحت الارض ترتكب فيها أفظع الجرائم

ـ ان نيافة الكردينال لا يعتقد بوجود هذه الكهوف

ـ اني اعتبر رأي ثيافته ولكنني اعرف باريس حق المعرفة

ـ لا بأس والا ن قل لي كم من الوقت يلزمك لاكتشاف قاتل الكونت دى فوا

ـ ساعة واحدة

ـ أما مسألة الكهوف فلا اعلم ...

ـ اني اقسم ياسيدي بحياتي و بشرفي ان هذه الكهوف موجودة بباريس

ـ وأما انا فاشك في ذلك فكم من الوقت يلزمك لتكتشف احدها و تبرهن لي ؟

ـ ثلاثة أيام ياسيدي

الفصل السابع

« حيلة تورنكه »

ووصل فلامبرج وجانو وأسيرهما تورنكه الى مزرعة بيتيفيه قرب الظهر ونزلوا ليتناولوا طعام الغداء ويغيروا خيلهم

وبينما هم على المائدة اذ سمعوا أصوات غناء ومحادثة في الفندق ذاته فقال لاموسكاد ما الخبر ياترى

فقال تورنكه أظن أن هذه طليعة الجيش أي القسم الاول منه وقد رأيت منذ قليل من على السطح فرقة من الفرسان تأتي نحو هذه

المدينة فصادق جانو قائلا نعم وانا ايضا قد رايت مثل ذلك

فسأل فلامبرج تورنكه هل تؤكد ان هؤلاء هم القسم الاول من جيشكم

— اني ارجح ذلك

وقال لاموسكاد ولكننا لانهابهم

فقال فلامبرج — وكم عدد هذه الطليعة

— أحد عشر فارسا ياسيدي مدججون بالسلاح

— اسرع اذا ودبر الخيل ولاتدع أحداً يراك

فترك تورنكه طعامه ونزل حالا

و بقي الاثنان صامتين فلامبرج يفكر ورأسه بين يديه وقال له جانو ذ رآه يفكر اني لم ار بحياتي حبا كهذا لابنة عمرها عشر سنوات فاني انا ذاتي لم أولع قط باحدى عشيقاتي العديدات بقدرما أنت مولع بهذه

— نعم أحبها أكثرمما لوكنت اباها . أراها دائما امام عيني تبتسم لي . اسمع كلامها العزيز واشعر بشعرها الجميل الاشقر يمس خدي . لقد نامت على ذراعي ساعات طويلة . آه ياأخي لايوجد الا أحد امرين اما ان اخلصها وأما ان أموت

— سأشارك في الامرين ياأخي فان قصدت تخليصها ذهبت معك وان مت مت معك

فمد فلامبرج يده وصافح اخاه ثم نهض حالا وذهب نحو النافذة متسللا لكيلا يراه أحد

ورأى في أسفل الدار تورنكه واقفا يتكلم مع رجل طويل القامة نحيف البدن عرفه حالا اذ كان برندامور خصمه المغلوب ورجل آخر ضخم الجثة عريض الاكتاف كبير الرأس . فاشار الى أخيه ان يأتي واراه الثلاثة يتحادثون وسأله هل تعرف هذا الرجل الضخم فاجاب لاموسكاد بكل تأكيد فانه غاليريين قائد الفرسان العشرة

ورجع فلامبرج وارجع معه اخاه بكل هدوء وجلسا ثانية أمام المائدة . وبعد قليل عاد تورنكه فابتدره فلامبرج قائلا هل اعددت الخيل ياتورنكه

— نعم ياسيدي فان كل شيء معد

— فلنسرع اذا قبل ان يلحقنا الاشقياء

ولكن تورنكه اشار بالسكوت واغلق باب الغرفة وقال بصوت منخفض اتعلمان من رأيت هنا . لقد رأيت اعدائنا وعلمت انهم اخذوا طعام الغذاء بذات الحانة هذه

فسأل جانو وهل كلمتهم .

— نعم منذ دقيقة كنت اتكلم مع غاليريين و برندامور

— وما العمل الآن ؟

— اسمعا لي ياسيدي من الجنون ان تقتحم هذا العدو القوي

المسلح نحن الثلاثة ومن الحكمة ان نستعمل حيلة نتخلص منهم اظن ان قصد السيد فلامبرج أن يصل الى مونتارجيس قبل هؤلاء الاشقياء

— نعم

— قبل كل شيء اسمعا مادار من الحديث بيني وبين غالبريين وبرندامور ولاتتسرعا فى الحكم علي . بعد جدال عنيف معهما اظهرت الاقتناع بان اسلحكما لها وأخذت مقدما ثلاثين فرنكا اجرتي اما الطريقة فهى هذه . يذهبون كلهم ويكمنون لكما عند غاب لاتوريت وحينما تمران من هناك يطلقون عليكما بنادقهم الثمانية التي تقطع ٧٠٠ قدم

فصاح لاموسكاد أهذه حيلتك أيها الخبيث .

فقال فلامبرج دعه يكمل ياجانو فان تورنكه رجل أمين

— انك رجل حكيم ياسيدي فلامبرج والان تحضران خادمين من الحانة احدهما طويل والآخر قصير وتتنكران بثيابهما ثم تمشيان انتما في الطليعة فيراكما السكين ويظن انكما فلاحان ثم يأتي الخادمان وراكما ويظنهما السيد فلامبرج واخاه السيد لاموسكاد فيطلق عليهما الرصاص وتنجوان انتما

فصاح فلامبرج يالك من رجل حكيم أمين ياصديقي تورنكه وصافحه باليد شاكراً

وعاد تورنكه قائلا اما انافسأرافقهم لاني هكذا اتفقت معهم .
فقال فلامبرج نعم نعم اذهب ولا تتأخر وارسل لنا خادمين من الحانة
أحدهما طويل والثاني قصير

وابتدا فلامبرج بخلع ثيابه وفعل جانو فعله . وماغاب عنهما
تورنكه حتى لبس فلامبرج ثيابه ثانية وقال لاخيه البس ثيابك حالا

— اني لاافهم كل هذه الحركات يا أخي

وفي تلك اللحظة دخل الخادمان وسلما باحترام فقال لهما فلامبرج
هل تخدمانا ساعه فننقد كلامنكما عشرة فرنكات

— سمعا وطاعة ياسيدي

— الذي اطلبه منكما هو ان تذهبا بحراستنا الى غاب لاتوريت
ثم ترجعا . اذهبا وهيأا اربعة افراس فاسرع الخادمان . أما جانو
فكان ينظر الى أخيه كالابله

وبعد قليل ركب الاربعة وظلوا سائرين الى ان قاربوا الغاب
فاوقفهم فلامبرج وقال للخادمين قد قاربت مهمتكما ان تنتهي فابقيا
من هنا الى ان اعطيكما الاشارة ماشيين وراءنا على بعد ثلاثمائة خطوة
واذا تأخرتما عن ذلك ارجع وأطير رأسيكما بهذا الحسام

ثم سار هو وأخوه وسار وراءهما على بعد ثلاثمائة خطوة الخادمان

وعند ماانفرد الاخوان قال جانو بصوت لم يخامره الخوف اذا
سنمر بالاول .

— نعم

— ولكن الم تسمع ماقاله تورنكة بانه يجب ان نمر بعد هذين الخادمين — نعم

— فبناء عليه انت تعتقدان تورنكة خائن

— الست محقا في ذلك

— كل الحق انك ذو عقل واسع ياأخي فاني انا الذي اشتهرت بالذكاء في باريس لم اتوصل الى ان احل عقداً كهذه ووصلا الى أول الغاب فابتدأ لاموسكاد بأغنية باريسية فانتهره اخوه قائلا نحن الآن فلاحان لا نعرف الاغاني الباريسية

— صدقت يا اخي . انك دائما حاضر الفكر ... هاهاهاانك تخفي ظهرك لتظهر كاحد الفلاحين فعبثا تحاول ان تخفي قامتك الطويلة . ولكن يظهر ان الطبيعة تساعدنا لان الشمس مختبأة وراء هذه الغيوم

— اسكت يا جانو فهاهم

— اني رأيتهم قبلك ورأيي أن نبقى نتكلم لكيلايشكوا انى أرى ثلاثة منهم وأرى افواههم بنادقهم تلمع

— انهم يتطلعون لناحيتنا . الا ترى ان الحق معي باعتقادي بخيانة تورنكه ولولا ذلك لكانوا صوبوا لناحيتنا الآن

وكانت الشمس وراءهما ووجههما في الظل و بعد أن تقدما قليلا قال جانو قد ابتدأت اعتقد ان الحق بجانبك يا أخي

ـ لا تستعجل باعتقادك فهذا تورنكه قد عرفنا وهو يشير الينا وصار الجماعة ينظرون اليهما ووضع برندامور بندقية على احدجذوع الاشجار وصوبها نحوهما فقال جانو هل نطلق العنان

ـ اصبر قليلا انهم لم يتأكدوا الا ترى كيف ان غالينى أرجع بندقية براندامور

وفي تلك اللحظة ظهر فارسان على بعد ثلثمائة خطوة وراءهما فقال فلامبرج اني اخاف أن يذهب هذان البريئان بجريمتنا فهل أنت مستعد

ـ نعم

وأعطى فلامبرج العلامة للخادمين وأطلق لفرسه العنان وفعل جانو مثله . فعرفهما حينئذ الاشقياء وصاحوا وراءهما

وصوب نصفهم بنادقهم عليهما والنصف الآخر على الخادمين ودوت طلقات مرت من جنبهما فقال لاموسكاد اني لا اخاف رصاصهم فقد نجحت جدا بهذا الفن وعما قليل سأصير من الابطال . . . ولكن لا تزال الخاذي تؤلمني

وخرجت طلقتان اخريان فقال فلامبرج ان هذه البنادق قوية جداً نعم وقد مرت رصاصة فوق رقبتي . ان صوت دويها قبيح

ولكن متى اعتادها الفارس لم يعد يستقبحها

وصاح فلامبرج احن رأسك سريعا وحيى هو رأسه امالاموسكاد فصار يضحك ويقول هل تظن ان طولي زاد حتى صرت احتاج أن أحني رأسي

ومرت رصاصتان فوقهما وأوقعت احداهما قبعة لاموسكاد فقال حقا انك رجل حرب يا اخي ولو أطعتك لما خسرت قبعتي خصوصا واننا الآن ذاهبون حيث لا يوجد قبعات للمبيع

ثم حنى رأسه ومرت رصاصة سابعة فوقه ومرت الثامنة بينهما وأصابت طرف أذن حصان جانو

فصاح فلامبرج هذه آخر رصاصة وأوقف حصانه

ثم التفت الى اخيه وقال أحب أن اعرف اذا كنت تطيعني في امر اسألك اياه

— مر يا اخي وانا اطوع لك من بنانك . فان امرتني أن أفديك بدمي فلا أتأخر

— أتقسم بانك تطيعني

— اني اقسم على ذلك

— اذاً امرك ان تكل الطريق ...

وسحب فلامبرج سيفه ورد رأس حصانه فصاح جانو ما بالك

— لقد اقسمت ان تطيع ... اني ارى اسلحتهم جيدة وقدعن

لي ان اختطف بندقية أواثنتين من هذه البنادق

ثم وخز الجواد وذهب الى ناحية الاشقياء الذين كانوا قد أطلقوا عنان خيلهم لاتباع خصميهم وتقدم بعضهم عن الباقين

واول من رأي فلامبرج برندامور وغاليريين فقال في نفسه هذه المرة يجب أن أقتله فقاربه وهم بطعنه الا ان قلبه لم يطاوعه وبعد أن ابطل طعنتين من طعنات خصمه ضربه بقبضة سيفه على جبينه فالقاه الى الارض وامسك باليد اليسرى بشعر غاليريين وشده وقال له سلم والا نمت. ترجل حالا وهات بندقيتك و بندقية براندامور . فاطاع هذا وسلم اليه البندقيتين

ـ والان هات الذخائر فاخرج هذا من وراء سرجه كيسا وأعطاه اياه

ثم كر فلامبرج على الباقين فصرع اثنين منهم وضرب تورنكه الخائن صفعا بالسيف فصرعه . أما الباقون ففروا يمنة ويسرة

وعندئذ رجع بطلنا الى أخيه وناوله احدى البنادق قائلا خذ هذه البندقية لك ايها العزيز

فاخذها لاموسكاد والدموع في عينه وقال اني ارى انك تحتقرني فلماذا لم تدعني أحمل معك

ـ يالك من منكر الجميل أكذا تؤول مقالي . اني اردت ان تبقى حتى اذا قتلت تكون المدافع عن اجنور

فسر جانو وقال اصحيح ماتقول ولكن لماذا لم ترسلني اليهم وتبقى أنت لان بقائه الزم لاجنور

ـ لم افتكر بهذا يا أخي . ولكن لو أرسلتك هل كنت افتكرت بالذخائر فان هذه البواريد لاتحشى الا بنوع مخصوص من البارود

ـ صدقني ياأخي كنت افتكرت بكل شيء ولوذهبت اصرعت هؤلاء الفرسان العشرة وفوقهم تورنكه الخائن

ـ قد صممت قبل ان اذهب اليهم ان أطعنه وعندما وصلت اليهم لم يطاوعني قلبي ... ولكن يجب أن أعتاد ذلك فلا ذنب على الجندى فى ساعة الحرب ...

وأخرج فلامبرج من جيبه قبعة لاموسكاد وقال لو ذهبت هل كنت افتكرت باحضار قبعته . فلقد انتشلتها برأس حسامى عند حملى عليهم

ـ انك منقطع النظير يا أخي واقر بانك اقدر واذكى مني و بعد أن مشيا مسافة تطلعا فرأيا أمامهما قصرا وسأل جانو ما هذا القصر؟

ـ هذا هو قصر مونتا برجيس

ـ اظن اننا نتعشى عشاء فاخرا هذه الليلة وننام على اسرة من ريش النعام

ـ فلنسرع الخطى

وعند ما صارا على مقربة من القصر وجدا سكانه في ضجة

ورفع الجسر الذي فوق الهوة التي تفصل القصر عن الارض حوله فقال لاموسكاد ما معنى هذا :

ـ معنى هذا ان اتعابنا لم تنته بعد . وان العشاء الذي املت نفسك به لن تناله ...

وما انهى فلامبرج عبارته حتى سمعا طلقا قويا ومرت رصاصة أمامهم على الحصى فبددتها

الفصل السابع

«في قصر مونتارجيس»

وكان قصر مونتارجيس من القصور التي مضى عليها العهد الطويل ولم تزل قائمة متماسكة تدعو الى العجب

وفي جوار هذا القصر قصر آخر يدعى قصر تورود تسكنه البارونة الملقبة بهذا الاسم وهو لا يقل قدما عن الاول

وقد حصل خلاف بين البارونة المذكورة وصاحبة قصر مونتارجيس اوليفت جوليت مرغريت بسبب وضع المقاعد في الكنيسة فان كلا منهما أرادت ان تقدم مقعدها على الاخرى ولم يقدر راعي الكنيسة ان يمنع الخصام فشهرت الحرب بينهما

وخافت اوليفت جوليت مرغريت من عدوتها لانها كانت أقوى منها فاعتصمت بقصرها متخذة خطة الدفاع واتخذت البارونة

دي بورود خطة الهجوم

وجمعت مرغريت جنودها المؤلفين من خدامها وخادماتها وهم أربعة رجال وخمس نساء كان اصغرهم سنا قد قلع ضرسه الاخير من خمس سنوات . اما سيدتهم فلا تقل عمرا عنهم . فانها كانت تقر بسبعين سنة ولا بد ان يضاف الى ذلك سنوات اصلاحا لخطأ السهو . قلنا انها جمعت جنودها ووضعت على وجهها النحيل نظارات كبيرة وابتدأت تخطب فيهم بحماسة وتلقي من وقت الى آخر بعض نظرات الى ورقة كانت بيدها ففي النهار القصير كانت تلقي نحو عشرين خطابا

وفي اليوم الذي أتى فيه فلامبرج وأخوه نظر سكان القصر فرأوا فارسين قادمين نحو القصر فذهبوا وأخبروا سيدتهم فاتت الى الحصن ووضعت نظاراتها الغليظة وابتدأت بخطاب قالت في آخره ما مؤداه يلزم ان ننتصر او نموت . ثم اعطت الاوامر باطلاق مدفعين كان قد أكل عليهما الدهر وشرب فاطلق المدفعين واهتز القصر كله . وهذان الطلقان هما اللذان مرا بجانب فلامبرج ولاموسكاد

وكان في القصر ولدان عمر كل منهما احدى عشرة سنة الواحد يدعى واسمه فيبس والثاني بنت وهي اجنور التي اتى فلامبرج للمدافعة عنها . وكانا يلعبان بين العساكر ويقهقهان ضحكا عند ما يريان عمتهما مرغريت تضع نظاراتها وتلقي خطابا

وعند ما اطلق المدفعان قال فيبس لعمته ان القصر كله ارتج يا عمتي اليس من خطر على سقوطه

ـ اخرس يا فيبس ان القصر قديم من وقت خلق العالم وسيدوم الى ان ينتهي العالم

ثم ابتدأت تلقى خطابا استغرق نحو ربع ساعة وعندها اقترب الفارسان من القصر فامرت باطلاق المدفعين الباقيين اللذين لم يكونا أقل قدما من الاولين

وقبل ان يطلقا التفت اجنور الى اخيها فيبس وقالت هل انت بحلم اليس هذا صديقنا فلامبرج . انظر كيف انه لا يهاب المدافع بل يقهقه ضحكا

وعندها اطلقت النار وسقط حينئذ البرج الذي كانوا عليه لقدمه وسقط فوقه عساكر القصر وهم يصرخون و يولولون واقترب منهم فلامبرج ولاموسكاد فساعداهم على النهوض وأول من انهض فلامبرج مرغريت العجوز فقالت له ان الاحوال عاكستني أيها القائد واني اسلم على شرط ان لا يمس رجالي بضرر فكن حليما فان الانتصار جميل ولكن العفو أجمل منه

واجتهد كثيراً ان يقنعها بانه ليس من الاعداء ولكنها لم تفهم بل بقيت مصرة

اما لاموسكاد فساعد خادماتها على النهوض واستعاذ من

الشيطان الرجيم لقبحتهن اما هن فكن يستحثن و يطلبن منه أن لا يمس عرضهن فابتعد لاموسكاد عنهن مدعيا أنه فعل ذلك لعزة نفسه لا لشناعتهن

وفي تلك اللحظة اتى فيبس وأجنور وتعلقا بعنق فلامبرج وصارا يقبلانه فدهشت عمتهما واقبلت الى فلامبرج تلومه قائلة اما كان امكانك ان تقول انك صديق لا عدو فتكسبنا بذلك بارودنا و برجنا المتهدم . اظن انك خادم اخي الكونت دي فوا .

فصاح فيبس وأجنور لا لا هو ليس خادما ولكنه صديقنا المخلص وهو اقوى من برجك هذا فقولي له ان يقف وسيفه مسلول امام باب القصر فلا يجسر احد على الدخول

فتقدم لاموسكاد وانحنى برشاقة وقال وعدا ذلك اكون انا بجانبه

وعند ما رأته أجنور سألت فلامبرج أهذا أخوك الصغير الذي كلمتني عنه .

فانحنى لاموسكاد ثانيا امامها وقال ارى انك سمعت باسمي يا سيدتي كما سمع سائر الناس فاني والحمد لله مشهور وكل الناس تلقبني بجانو الصغير . فاتقدم الآن باحترام وأطلب تقبيل يدك واعدك بان اسعك آخر نقطة من دمي في خدمتك

فقدم الولدان جباههما فقبلهما لاموسكاد وقال ان اخي فلامبرج يحبكما الى درجة متناهية حتى اني انا اخاه غرت منكما ولكني ارى

الآن ان الحق بجانبه واظنني ساحذو حذوه في محبتكما وفي ذلك الوقت كانت العجوز مرغريت تنظر الى فلامبرج باعجاب ثم قالت ان قصري هذا قوي جدا وقد قاوم كثيراً من صروف الدهر ولكن العدو الان أقوى منه اذ اني حين رأيتكما ظننت انكما طليعة جيش البارونه دي تورود فامرت باطلاق المدافع . ولكني احمد الله الذي أرسل الينا صديقا مثلك . يظهر انك قوي البنية ياصديقي

فظهرت الغيرة على وجه رجالها وقال أكبرهم ونحن ياسيدتي لا ينقصنا الا الشباب فقط

وعاودت مرغريت حديثها فقالت وماذا تطلبان الان اجرة لحراسة هذا القصر وترميم ماتهدم منه انت وهذا الصغير الذي ليس ذا قامة تذكر ولكنه على مايظهر ذو صحة وعافية

ـ اننا لانبيع نفسنا ياسيدتي بل نختص جسما ونفسا بهذين الولدين العزيزين وسنظل نحارب مادام فينا رمق اما الآن فعندي كلام اسرده اليك ايتها السيدة فمري الطباخ ان يهيىء لنا العشاء واسمحي لي بمحادثتك سراً فادخلته الى غرفتها الخصوصية وبعد ان جلس قال لها اتعلمين من مات ياسيدتي

ـ انك ترعبني قل اخبرني سريعا من .

ـ الكونت دي فوا ابو هذين الولدين وماتت امهما أيضا

ـ مسكين ابن عمي لقد كنت أحبه جداً ومسكينة امرأته فانها

كانت امرأة سليمة الطوية . باي مرض توفيا

ـ قتلا قتلاً

ـ ويلاه قتلا . ومن قتلهما

ـ اني لم أكن حاضراً ولكني اؤكد ان القاتل هو الشيفاليه دى غرالبي.

ـ ترو في حديثك أيها الشاب فان المذكور من عائلتي . ولطالما اشتهرت هـذه العائلة بالاستقامة والشجاعـة ولم يقم منهـا خونة فبرهن لها فلامبرج بقدر استطاعته وسرد لهـا باختصار ماجرى وما سمعته في حانه ترويكيفيل

فهزت العجوز رأسها وقالت وهل فى العالم خيانة جسيمة كهذه. ثم افتكرت قليلا وقالت ان هذا الحادث يذكرني حادثا آخر مشابها له يتعلق بالشيفاليه دى غرالبي . في ايام الحرب مع هولاندا وجـد ابن عمي الاكبر مقتولا مع امرأته وملقى تحت شجرة وقـد كان لهما ابن قيل انه نجا باعجوبة ولم يعرف من القاتل الا انه شاع بين الكل ان القاتل كان الشيفاليه دى غرالبي

ـ ان هذه الاشياء لاتهمنا الان فلنفكر بحالتنا ياسيدتي

ـ اصبت انه يجب ان نفتكر بحالتنا ولكن دعني اكمل قصتي .. اشرف من النافذة وانظر هل من عساكر قادمة نحو القصر أولا فاطاع فلاجرج وذهب الى النافذة ولما لم ير احداً رجع وسكن

بال الباونة فشكرته وعادته الى حديثها قائلة : وقد بلغني ان هذا الولد التقطه بعض المسافرين ولا يعرف احد اين مقره الآن

ـ حرسه الله اينما كان ... ولنعد الان الى حالتنا فان بين يدينا الان يتيمين

ـ صدقت صدقت . ولكن ماذا اقدر ان افعل

ـ اسمعي لي ياسيدتي . انه لم يعد بين الشيفاليه دي غرالبي و بين ارث املاك اخيه الا هذان الولدان فمتى هلكا يحصل على الالقاب والاملاك التي كانت لاخيه المرحوم ينكريد . وقد ارسل جماعة لاختطافهما ...

ـ تباله ياله من شقي وهل هم عديدون

ـ نحو مائة رجل بين فارس وراجل

ـ يالله المصيبة فما العمل الان . سارسل ساعيا الى البارونه دي تورود واطلب الصلح والنجدة واتساهل معها بكل ما تطلب من الشروط ثم استقبل الحصار في هذا القصر الذي قاوم كثيرا في سنة ١٤٢٩ بقيت فيه جان داراك مدة لا يقدر الانكليز على التوصل اليها . وعندي وكيل اشغال في هولانده وآخر في الجنوب نستحضرهما حالا ونضمها الى الجيش الذي عندنا

ـ نعم ياسيدتي ان قصرك هذا في غاية المتانة ولكن البرج كما لا يخفى عليك قد سقط وعليه يجب ان نلجأ الى مكان آخر

فحملقت عينيها وقالت ماذا هل تفصلني عنهما ... لالا . بل يمكننا ان نرمم البرج ونستقبل الحصار هنا

– اما انا يا سيدتي فأرى رأيا آخر هو ان يلتجىء الولدان الى الملكة مارى تريز

– نعم نعم ان ابنة ابن عمي صديقة الملكة الجديدة . ان فكرك صائب ياصاح . فساذهب الى باريس واستصحبهما ثم اضعهما بين يدي الملكة

– ولكن ذلك غير لائق بسيدة شريفة مثلك

– لقد اصبت . ولكني لاأقدر ان افارقهما .

– هذا مايجب اجراؤه الان . اسافر انا وأخي في هذه الساعة ونأخذ الولدين معنا ونسلمهما الى الملكة . هل عندك جياد كريمة يا سيدتي

– ان جيادنا كلها من أصل كريم الا انها مسنة مثل باقي مافي القصر . قد كان عندنا خمسة عشر حصانا من ثلاثين سنة مات معظمهم ولكننا من ثلاث عشرة سنة اشترينا اربعة افراس ولاتزال باقية وهي حديثة السن اليس كذلك

فهز فلامبرج رأسه ثم استأذنها ونزل الى الاصطبل فرأى الخيل لا تجدي نفعا فصعد سريعا ورأى اخاه لاموسكاد وقال له لقد كان قصدي ان نذهب حالا وناخذ فيبس واجنور ولكن خيلنا تعبة جداً

وخيل القصر لاخير فيها فسنصبر الي منتصف الليل

ثم اتى الخادم واعلمهم بان العشاء قد اعدت فظهرت البارونه بلباسها الرسمي مستندة الى ذراع خادمتها وقالت لفلامبرج انك لست من من الاشراف ياصديقي ولكن الاحوال الان تسمح بان تجالسني على المائدة . ثم اعطته ذراعها ودخلا

واعطت خادمتها ذراعها للاموسكاد ودخلا بعدهما

و بعد ان تناولا الطعام وحان تناول الفاكهة سمع صوت ضجيج واتى حارس السور وأخبرهم باقتراب العدو . فقفز فلامبرج من النافذة ونزل الى امام السور فرأى أربعة أو خمسة رجال يتسلقون فلم يجرد سيفه بل أخذ بعض الحجارة ورماهم بها فسقطوا كلهم الى الارض ورجع الاخرون الى الوراء

وظهرت البارونة وفي يدها ورقة تريد القاء خطاب فلم ينتبه فلامبرج لها بل اخذ اخاه الي ناحية وقال له لقد لمتني ياخي عند ماحملت وحدي . فهل تحب الان ان تحمل معي لان قصدى ان اخرج الى العدو

فاجاب لاموسكاد وقد لعبت الخمرة برأسه اني شربها على المائدة

— نعم يا أخي وسترى مني بأسا يقد الحديد ولا اضرب بحد حسامي بل بمتنه كما تضرب انت

وخرج الاثنان فلامبرج أولا وبعده لاموسكاد الا ان هذا الاخير كان سكران فتقدم اخاه وصاح تعالوا ايها الاشقياء فلاقتلنكم بقبضة سيفي لانكم لا تستحقون أن يمسكم رأس حسامي

وكانت الليلة مظلمة جدا فلم يشعر الاشقياء الا والسيوف تلعب فيهم فصاروا يضربون بعضهم بعضا ودامت المعركة مدة وفلامبرج يضرب فيهم صفحا فيجندلهم ثم تطلع فلم ير اخاه ففتش عنه وراه محاطا بعدد عديد من الرجال وهو يدافع دفاع الابطال ويقول اقتربوا أيها الانذال فلا أضربكم الا بقبضة هذا السيف . وحين رآه فلامبرج بهذه الحالة قوم رأس حسامه وقد انفطر قلبه واقتحم عددهم فرأى بين الجماعة رجلا ضخم الجثة ممسكا بخناق أخيه فلم يشعر ذلك الرجل الا وضربة سيف القته صريعا ورأى فلامبرج أمامه غاليريين فضربه على عنقه بالسيف فوقع قتيلا ثم مازال يضرب فيهم ولاموسكاد يساعده عليهم وهم يزدحمون حتى كلت ايديهم الا أن فلامبرج الذي لا يعرف الفشل بقي يجاهد فيهم وكل ضربة منه تلقي رجلا على الارض حتى فرقهم من امامه ودخل باب السور وأقفله وراءه

وبعد ان دخلا قال لاموسكاد مفتخرا اني اتخذت طريقتك في الضرب يا اخي انظر فان سيفي لم تصله نقطة دم

فحنى فلامبرج رأسه بحزن وقال لم اكن اقصد ان أجري دما

ولكني احبك كثيرا يا أخي وقد رأيتك محاطا بهؤلاء الاجلاف فخفت عليك ... اواه ما بالي انا ضعيف القلب هكذا يجب ان أحارب من الآن وصاعدا واسفك الدم لاني لاادافع الآن عن نفسي بل عن هذين الوالدين

الفصل الثامن

العودة الى باريس

ثم صعدا الى البرج وجعلا يطلقان رصاص بندقيتيهما على الاعداء فهربوا جميعا الى الغاب وسرت سيدة القصر جدا بهذا الانتصار وقالت لفلامبرج أرأيت يا حضرة القائد ان قصرنا هذا لا يؤخذ فلاضرورة لاخذ الوالدين الى الملكة لانهما يكونان هنا بامان

فلم يجب صاحبنا بل بقي يجيل النظر خارج القصر وعندها طلع القمر وأنار تلك الساحة فبانت جثة القتلى مجندلة على العشب وقي فلامبرج سهران يلاحظ حركات العدو وهو مختبئ وراء أحد الجدران واذ طلع القمر وبانت جبهته اطلقت ستة عبارات نارية مرت من فوق رأسه ولو لم يحنه لاصابته

وعند منتصف الليل قال لاخيه أن يذهب ويحضر الفرسين بكل هدوء وسكينة ثم ذهب الى مرغريت وقال لها قد حان ياسيدتي وقت سفرنا واني اتأسف جدا لتركي قصرك ولكن وجود هذين

الولدين هنا يجلب عليك الحرب والقلاقل

ـ ان عساكري لله الحمد بغاية الحماسة وبارودنا كثير ويمكنك ان تبقى مع الولدين وتدافع عنهما

فحار فلامبرج كيف يقنعها وقال اخيرا مري باحضارهما يا سيدتي واسأليهما هل يفضلان البقاء على الذهاب برفقتي فان سنهما يخولهما الحكم بذاتهما

فامرت باحضارهما اما فلامبرج فذهب وقال لها الحشم انا اعلم انك عاقل وحكيم وهؤلاء الاعداء لا يقصدونكم بضرر انما قصدهم اختطاف الولدين فمتى افهمتموهم بان الولدين قد زاولاكم يرحلون عنكم بسلام

وحين حضر الولدان سألتهما عمتهما اى تفضلا اكثر ياحبيبي أن تذهبا مع هذا الرجل الشجاع ام تبقيا معي فتوقف فيبس قليلا وقال انك طيبة القلب ولطيفة يا عمتي العزيزة ولكني أفضل الذهاب مع فلامبرج .

وقالت اجنور وقد احمر خداها نذهب مع فلامبرج انه صديقنا ياعمتي وساتبعه الى كل مكان

وكان في نغمتها لهجة لا تكون عند البنات اللواتي من سنها اما العمة فادارت وجهها وقالت ان قلوب أولاد هذا الجيل

ملاقى بانكار الجميل

فركض الولدان اليها وهما يبكيان وصارا يقبلان يديها فاخذتهما بين ذراعيها وصارت تقبلهما وهي تخفي دموعها

ثم ذهب الكل الى باب القصر حيث كان لاموسكاد ينتظر وعند ماهموا بالذهاب قالت مرغريت دع عساكري ترافقك ريثما تجتازون محل العدو

احذري من ذلك يا سيدتي فيجب ان نخرج بكل هدوء ولا يدري بنا احد . والآن اودعك يا سيدتي واسأل الله من صميم فؤادي ان يباركك و يحفظك

وأعطته يدها فقبلها وهكذا فعل لاموسكاد ثم امتطى فلامبرج على أحد الجياد ووضع اجنور امامه وركب لاموسكاد واركب فيبس وراءه وذهبا بطريق رملي بين الحقول والمزارع لكي لايدري بهم العدو . وكان الليل شديد الظلام بسبب الغيم الكثيف الذى اخفى وجه القمر فاضطربت اجنور والتصقت بفلامبرج الذي شعر بدقات قلبها

أما فيبس فقال اني التذ جدا بحالتنا هذه فانى لم أر بحياتي الظلام شديدا بهذا المقدار وقلبي يحدثني باننا سنجد أعداء بطريقنا فقال لاموسكاد اذا التقينا باعداء نقتلهم ونمر

هذا ما لا أشك فيه ... انك رقيق العشرة يا صديقي

لاموسكاد وأنا احبك

وكانت طريقهم رملية فلم يسمع صوت لحوافر الخيل . وبعد ان مشوا نحو مئة خطوة تقهقر جواد فلامبرج مجفلا ومر خيال تحت احدى الاشجار

وقالت اجنور بخوف يوجد غيره أيضا لقد رأيت كثيرا غيره فشدها فلامبرج عليه وأمرها بالسكوت . وفى تلك الدقيقة أطلق جانو بندقيته واطلق عنانه وقال أطلق عنان جوادك ياأخي فضرب فلامبرج جواده بالمهماز فطلع يجري كالريح وأطلقت وراءهم عدة عيارات مرت بجانبهم ولم يزالو مجدين السير حتى قطعوا الغاب ووصلوا الى فسحة واسعة الاطراف فاوقفا الجوادين وقال فيس قد سمعت صوت الرصاص مثل فحيح الافعى وقالت اجنور لفلامبرج لقد دوت رصاصة بقربك وخفت كثيرا أن تكون اصابتك

أما لاموسكاد فكان يتمايل عجبا على ظهر حصانه وقال اني لااطنب في نفسي اذا قلت ان نظري حاد بالليل فقد عرفت تورنكه وهو يصوب بندقيته نحونا فلم ادعه يطلق حتى أطلقت عليه بندقيتي ولم أرد أن اصيبه بمقتل لانى اعرفه من زمان طويل واكتفيت بان كسرت عظم ذراعه

ثم عقب ذلك سكوت عميق قطعته اجنور بقولها لصديقها لقد حلمت البارحة حلماً مزعجا جداً رأيت ابى وامى قتيلين

ملاقى بانكار الجميل

فركض الولدان اليها وهما يبكيان وصارا يقبلان يديها فاخذتهما بين ذراعيها وصارت تقبلهما وهي تخفي دموعها

ثم ذهب الكل الى باب القصر حيث كان لاموسكاد ينتظر وعند ماهموا بالذهاب قالت مرغريت دع عساكري ترافقك ريثما تجتازون محل العدو

احذري من ذلك يا سيدتي فيجب ان نخرج بكل هدوء ولا يدري بنا احد . والآن اودعك يا سيدتي واسأل الله من صميم فؤادي ان يباركك و يحفظك

وأعطته يدها فقبلها وهكذا فعل لاموسكاد ثم امتطى فلامبرج على أحد الجياد ووضع اجنور امامه وركب لاموسكاد واركب فيس وراءه وذهبا بطريق رملي بين الحقول والمزارع لكي لايدري بهم العدو . وكان الليل شديد الظلام بسبب الغيم الكثيف الذى اخفى وجه القمر فاضطربت اجنور والتصقت بفلامبرج الذي شعر بدقات قلبها

أما فيس فقال اني التذ جدا بحالتنا هذه فانى لم أر بحياتي الظلام شديدا بهذا المقدار وقلبي يحدثني باننا سنجد أعداء بطريقنا قال لاموسكاد اذا التقينا باعداء نقتلهم ونمر

هذا ما لا أشك فيه ... انك رقيق العشرة يا صديقي

لاموسكاد وأنا احبك

وكانت طريقهم رملية فلم يسمع صوت لحوافر الخيل . وبعد ان مشوا نحو مئة خطوة تقهقر جواد فلامبرج مجفلا ومر خيال تحت احدى الاشجار

وقالت اجنور بخوف يوجد غيره أيضا لقد رأيت كثيرا غيره فشدها فلامبرج عليه وأمرها بالسكوت . وفي تلك الدقيقة أطلق جانو بندقيته واطلق عنانه وقال أطلق عنان جوادك ياأخي فضرب فلامبرج جواده بالمهماز فطلع يجري كالريح وأطلقت وراءهم عدة عيارات مرت بجانبهم ولم يزالو مجدين السير حتى قطعوا الغاب ووصلوا الى فسحة واسعة الاطراف فاوقفا الجوادين وقال فيبس قد سمعت صوت الرصاص مثل فحيح الافعى وقالت اجنور لفلامبرج لقد بدوت رصاصة بقربك وخفت كثيرا أن تكون اصابتك

أما لاموسكاد فكان يتمايل عجبا على ظهر حصانه وقال اني لااطنب في نفسي اذا قلت ان نظري حاد بالليل فقد عرفت تورنكه وهو يصوب بندقيته نحونا فلم ادعه يطلق حتى أطلقت عليه بندقيتي ولم أرد أن اصيبه بمقتل لانى اعرفه من زمان طويل واكتفيت بان كسرت عظم ذراعه

ثم عقب ذلك سكوت عميق قطعته اجنور بقولها لصديقها لقد جلمت البارحة حلماً مزعجا جداً رأيت ابي وامي قتيلين

فسمل لاموسكاد واصفر فلامبرج

واكملت اجنور واذا كان ماحلته صحيحا لايبقى لنا الا انت ياصديقي لاننا تركنا عمتنا التي هي القريبة الوحيدة لنا

فقال فلامبرج بصوت مرتجف لاصحة لهذا ابدا

ـ حدث ذلك في محل اعرفه على جسر كبير فوق نهر وكانت الغيوم السوداء تغطي ضوء القمر والبيوت التي حول الجسر مرتفعة ارتفاعا هائلا . وباول الجسر تمثال فارس على حصانه شاهر سيفه ورأيت ابي آتيا عن بعد وبجانبه امي وهما مسروران يضحكان .. ولكن مالك ياصديقي فلامبرج ان يديك باردتان وانت ترتجف

ـ ذلك لان حلمك هذا ازعجني

ـ ثم ظهر اناس عديدون من الارض فسحب ابي سيفه ولكنهم تكاثروا عليه فاطلق غدارتيه ثم انخن بالجراح وسقطت امي أولا

وهنا اخفت اجنور وجهها بيدها وقالت انهم جبناء انذال لتعرضهم للنساء . وبعد ذلك سقط ابي الى الارض وصاح لقد عرفتك ياالخي الشقي لقد عرفتك فتقدم اليه رجل شاهر سيفه وضربه على رأسه فقتله

وخبأت اجنور رأسها بصدر فلامبرج وصارت تبكي فتأثر جداً وصار يهدىء روعها اما هي فلم تجب بشيء وبعد قليل غرقت في النوم . ونام فيبس ايضا وراء لاموسكاد فربطه هذا بزناره

و بعدان مشوا نحو ساعتين افاق الولدان ونظرت اجنور الى فلامبرج وهي تتبسم اما هو فكان يحول نظره عنها فقالت له الا تحب ان تنظر الي .

ـ اني اراقب خطوات الجواد التعب

ـ ذلك اني كبرت وصرت ثقيلة الجسم الان و بعد قليل اصير شابة

فضحك فلامبرج وقال بعد خمس سنوات

فتنهدت وقالت انه وقت طويل اما انت فانك بسن الزواج فتكاف الضحك وقال ان الجماعة الذين لا يملكون شيئا مثلي لا يتزوجون وعدا عن ذلك لا اقدر ان اجد امراة تتزوجني

فوضعت اجنور يدها على فمه لتسكته وقالت انك تكذب واؤكد ان كثيرا من النساء تحب ان تتزوجك . فانك من اجمل الرجال . ولكن لماذا احمر وجهك هل ساءك كلامي هذا .

فلم يجب بشيء وعاودت اجنور قائلة ان عمتي عندها كتاب تقرأ لها فيه خادمتها قبل النوم وهذا الكتاب يذكر كيف كان الفرسان في القديم يقسمون يمين الحب والامانة لمحبوباتهم من السيدات قبل ذهابهم الى الحرب . فهل لك يافلامبرج ان اكون كاحدى تلك السيدات وان تكون انت أحد أولئك الفرسان

فهز فلامبرج كتفيه ولم يجب

ـ وهل تجدني صغيرة جداً . ولكنني سأكبر

ـ انك ستصيرين حين تكبرين سيدة شريفة اما انا فجندي بسيط

ـ انا اؤكد انك تكون قائدا عظيما اذا اردت ذلك . اسمع الي هل تريد ان تهبني ما اطلبه منك

ـ انت تعلمين اني لك جسما ونفسا

ـ كلا اني لا اعلم ذلك لاسيما وانك ترفض ما اطلبه منك لانك تستصعبه وهذه جبهتك الندية بالعرق تشهد بذلك ثم طوقت عنقه بيديها وقالت ارجوك اجابتي الى ما اسألك فتجلب لي الهناء

ـ اني اعدك بان اجيبك الى ما تسألين فقولي

ـ تأمل في جيداً . ولا تنس ان وعد الكريم دين يجب عليه اداؤه

ـ مري

ـ اتطيعني .

ـ نعم اطيعك

ـ وهل تقسم بشرفك على ذلك .

ـ اقسم بشرفي على اني افعل كل ما تقولين

اذا اسمع بما انك اقسمت وبما اني اعلم ان شريفا مثلك لا يكذب ولا يحنث بيمينه امنعك منعا قطيعا عن ان تتزوج وامنعك أيضا عن ان تحب امرأة الى مدة خمس سنوات ريثما ابلغ سن الزواج فاكون امرأتك

واقترب عندها موسكاد وفيس منهما فقطعا حديثهما وقال

فيبس هل رأيتم وعلا من بالغاب هاهاهل تسمعون صوت ابواق

و بقي فيبس يضحك و يسأل ولاموسكاد يجيبه . اما فلامبرج واجنور فكانا صامتين وسأل فلامبرج اخاه هـل نحن على الطريق المستقيم

ـ اني لااعلم ياخي لقد أتيت مرة وكنت سكران جدا

ـ ماالعمل اذا ان كل الطرق تتشابه .واذا ضللنا سبقنا الاشرار الى باريس وكمنوا لنا عند مدخل المدينة . ولكن ماهذه الابواق ، ومن يجسر ان يصطاد في غاب الملك

ثم ظهر رجال على بعد ثلاثمائة أوأر بعمائة خطوة منهم وهم يطاردون وعلا . وظهر بعدهم الفرسان على خيلهم وامامهم الموسيقى تصدح

فصاح فيبس طربا اني احب انا كون احد هؤلاء الفرسان اما اجنور فقالت لفلامبرج همسا لو كنت معهم لوجدك الكل اجمعهم

ـ بحذائي المثقوب وثوبي الممزق

ـ صه فلا تنطق بمثل هذا ـ ان استياءك هذا يجرحني انا

ثم ظهرت بعد الفرسان العربات وفيها سكان البلاط فصار الفلاحون يهتفون الملك . ليحيَ الملك

فقال فلامبرج ماذا . الملك .

وقال جانو اذا كانَ الملك والملكة هنا فقد سقط عنا عناء كبير

فلم يجبه فلامبرج بل ترجل عن جواده وأعطاه لجامه وابقى عليه

الجنود وذهب مسرعا وحين رأى أول حارس غاب سلم عليه باحترام وسأله اخبرني ياصديقي هل الملكة مرافقة الملك في صيده هذا .

فنظر اليه الرجل وقال ومن سمح لك ان تلقبني بصديقك وانت بهذا الزي

ـ لايجب ان تحكم على الناس بالظواهر . اني رجل لايطلب خدمة الا و يدفع اجرتها . ثم اخرج من جيبه كيس الدراهم الذي اعطته اياه لاباسكيز فابرقت اسرة الحارس وقال هل معك دراهم كثيرة . اعذرني ياسيدي فقد كنت مخدوعا ولكن لماذا تسأل عن مرافقة الملكة للملك

ـ ذلك ان معي سيدة من الاشراف قد اتت مؤخرا من اسبانيا تحب ان تقابل الملكة

لعلها البنت الصغيرة التي يتحدثون عنها و يلقبونها بصديقة الملكة

ـ نعم هي بذاتها

ـ انا ادعى ياسيدي جوزيف فونسوا مورين من مقاطعة كومري وارجو ان تتذكر الشريفة الصغيرة اسمي واني لا اطلب من الاجرة سوى ان اكون تحت حماية صديقة الملكة الصغيرة . انظر ياصديقي ان الملكة في اول عربة تمر بعد ربع ساعة من هنا . فاذهب وقف عند هذه الاشجار وعند مرور العربات تكلم بجرأة واطلب مشاهدة الملكة . ثم انحنى امامه باحترام وذهب في طريقه بعد ان رفض ان

يأخذ اجرة

ورجع فلامبرج وقص على اخيه ماقال له حارس الغاب فقال هذا لقد فزنا على الاشرار فهل يظلون على مطاردة الصغيرين الى قصر الملكة

اما اجنور فبقيت صامتة فتناولها فلامبرج بين ذراعيه وذهب ووقف بجانب الاشجار كما اشار عليه الحارس وبعد قليل مر الحرس والناس تهتف ليحيي الملك . لتحيي الملكة . ثم ظهرت أول عربة فركض فلامبرج اليها ووقف امامها فتطلعت الملكة وحين رأت اجنور هتفت هتاف الابتهاج. اجنور . صديقتي الصغيرة . فالتفت كل الاشراف ليروا من تكلم الملكة وقامت بينهم ضوضاء شديدة . ومدت الملكة يدها لتأخذ اجنور ولكن في تلك الدقيقة نفسها أمر قائد الحرس العربات ان تجري لان الملك كان يعدو به جواده وهو يحب ان تشاهده الملكة على تلك الحالة فجرت العربات بسرعة وصاحت الملكة . الا انها رأت امامها فلامبرج على سلم العربة ومعه اجنور فصاحت بفرح برافو برافو . اما هو فاجلس البنت بجانب الملكة وقفز من العربة وهو منقبض الصدر لفراق اجنور وصار يناجي نفسه علي الان حراسة فيس الى ان تفتح له اخته ابواب قصر الملكة ثم رجع الى حيث كان نجانو وفيس فلم ير احدا فقال في نفسه لعلهما ذهبا ليتفرجا فلننتظر ريثما ينصرف الجميع

و بعد نحو نصف ساعة لم يبق أحد هناك فالتفت ذات اليمين وذات الشمال واذلم ير احدا صعد الى رابية وصار يصرخ . جانو . لاموسكاد . ولكن لامجيب

و بقي مدة يفتش تحت الاشجار ووراء الصخور بدون جدوى ثم رأى أحد حرس الغاب فاقترب منه وسأله هل مر من هنا فارس ومعه ولد يقود جوادا .

— لا اعلم

— وهل مر جماعة كبيرة من هنا

— نعم اناس زريو اللباس شنيعو الخلقة يبلغون التسعين أو المئة

وفي تلك الساعة اقترب رجل منهما وسأل فلامبرج هل تسأل عن شاب يلبس قبعة حمراء ووراءه ولد يقود جوادا

فامسك فلامبرج بيديه وقال نعم برلك قل لي اين هما

— لقد كانا واقفين على هذه الرابية و بعد مرور الملك وحاشيته بقليل خرج عليهما نحو مائة رجل فاكتنفوهما باسرع من لمح البصر

— الم تدافع عنهما

— مايفعل واحد مع مائة .

— الى اين ذهبوا

— انظر الى غبرتهم من هذه الناحية

اين اقدر الآن ان أجد جوادا .

ـ لا جياد في هذه الناحية الا اذا ذهبت وطلبت جوادا من الملك

ـ ماهو المحل الاول الذى أجد فيه جوادا

ـ فونتنبلو

ـ وكم تبعد من هنا

ـ ثلاثة كيلو مترات ونصفا

ـ اشكركما ياصديقي . سألحقهم بعد ساعة . صليا لاجلي لانهم مئة وانا وحدى .

ثم تركهم وسار بعدو

الفصل التاسع

« رؤيا فلامبرج »

و بقي فلامبرج يعدو الى ان وصل الى فونتنبلو وهناك علم ان القوم لم يمروا بها ولكنه لم ييأس بل جعل يفتش عن فرس يركبها و بعد اللتي والتي وجد فرسا ضعيفة اشتراها لعدم وجود غيرها لان خيل القرية استئجرت كلها للتفرج على صيد الملك

وعند المساء وصل الى قرية بونتييري فقيل له ان عشرة من الفرسان مروا بها ومعهم رجل ذوقبعة حمراء مكتوف اليدين مسدود الفم وولد صغير موثق ايضا وحين سألهم اهل القرية عن سبب ذلك

قالوا أنهم من الشرطة وان الشخصين مجرمان

فاشترى بما بقي من دراهم لاباسكيز جوادا جديدا وجعل يجد في أثرهم وعند وصوله الى كوربيل استطلع اخبارهم ثانية هناك وهم عشرة بل سبعة فقط فعلم أنهم يصنعون ذلك ليسرعوا

ولم يبق معه دراهم لتغيير جواده فبقي عليه يجد السير ووصل الى باريس الساعة الثالثة بعد نصف الليل بدون ان يلتقي بالاشقياء فحار في امره ما ذا يصنع وأول فكر خطر له أن يطلع رجل الشرطة على ذلك ولكنه عاد وافتكر بانه ان اخبرهم لا يفتشون عن الاشقياء الا في اليوم التالي

وكانت باريس في سكينة فراعه ذلك السكون وجعل صوت حوافر جواده يرهبه

ثم توجه الى شارع لافرايل حيث كانت حانة ترويكيفل وعند وصوله الى مدخل الحارة ربط جواده باحد الابواب ودخل ماشياً وسيفه مشهور بيده وهو يقول لاشك أنهم الآن في الحانة يشربون خمرا بعد هذا العناء الطويل . وعندما وصل الى بابها أنصت قليلا فلم يسمع شيئا ولم ير من خلال الباب الا الظلمة وابتدأ ينفد صبره وزادت هواجسه بسبب الظلام والسكون وجعل يشعر بان دمه يجري باردا في عروقه

وتمثلت امامه صورة اجنور تسأله عن اخيها . ثم تمثل أيضا شخص أخيه جانوا مقيداً يعاني أنواع العذاب فصاح متألما الهي انجدني ما ذا أجيب أجنور عند ما تقول لي أين أخي !

وجانو ! أخي المسكين! ربما هو الآن يستنجد بي ولا من مجيب : لو كان الآن معي لساعدني بنصائحه ولشجعني :

وجعلت خطواته ترن على البلاط وتوهمه ان جماعة يتبعونه فيلتفت الى ورائه ولا يرى احداً ثم جعل يسمع الصوت عن يمينه وعن يساره وأمامه وفي كل مكان فصاح آه يا الهي أتفقدني حتى قوة عقلي وقوة ساعدى هذه الجي تعروني ثم جس نبضه فاذا هو يدق بسرعة شديدة

وابتدأ يرى أشباحا في الظلام تحوم حوله فاضطرب جداً وصاح آه من الارواح ... هم عشرون ... هم مئة... ان بعضهم يطير بالهواء والبعض يزحف على الارض

وجعل يفكر بصلاة يقولها لطرد الارواح ولكن ذاكرته خانته فصرخ يجب ان احمل عليهم وأقتل أحدهم لأعلم من هم وهجم عليهم فتفرقوا جميعهم وبقوا على بعد متسا ومنه فكيفما مشى رآهم أمامه ان اهتم اسعتجلوا وان أبطأ أبطأوا

فصار يضرب بسيفه يمينا و يساراً فزلقت رجله ووقع على الارض وطار السيف من يده

و بقي مدة مطروحا على الارض لا يعلم أفي يقظة هو أم في منام ثم أخذ صوابه يعود اليه واختفت الاشباح ولم يبق أمامه الا الظلام الحالك والسكون المهيب فاقشعر بدنه كمن يستيقظ من حلم مخيف . ورأى أمامه نورا يسطع في الظلمة ومد يده ليمسكه فلطمت يده الارض وتفرس فيه فعلم انه نور بعيد آت من احدى نوافذ البيوت المجاورة

فنهض والتقط سيفه واقترب من النافذة فرأى شبح امرأة وراء ستائره . و بعد أن أمعن فيه عرف أنه شبح ماريوت لاباسكيز من قامتها وشعرها و برنيطتها

وعادت الى ذاكرته حوادث اليومين الاخيرين تصور أمامه لاباسكيز بشعرها الاشقر الجميل وقوامها الممشوق فقال في نفسه حقا انها امرأة جميلة . وقد اضطررت أن أصور امامي أجنور مرارا عديدة لكي لا أركع ساجدا عند قدميها . اتذكر انها قالت لي أن ارجع اليها في اليوم التالي واشتري ثو با جديدا ولكن فات الوقت الآن ... وقد صرفت دراهمها التي اعطتني اياها لمحاربة رجالها فهل تقبلني بعد ما أخلفت وعدي وقاومت مقاصدها ... ولكن قد قالت لي ان عدوي هو عدوها ... فهي لا شك تصفح عن تأخري اذا رجعت اليها وقلت لها اني احبك من كل نفسي ومن كل قلبي ... اكذب: اخدع التي صنعت معي معروفا ... لالا اني لا أحبها ولا أحب أحدا غير اجنور ... فقد اقسمت قسم شريف لها بأن لا احب

امرأة غيرها ... ولكن يجب ان اخلص أخاها وأخي يجب ان أخدع هذه المرأة ... هذه هي الحيلة الباقية عندي

ثم اقترب من الباب فسمع صوتا من داخله يقول ان كل من في البيت أعداء له ما عدا لاباسكيز وأرادان لايدع أحدا بالبيت يعلم بقدومه الا هي

ثم انحنى الى الارض وجعل يفتش عن حصى صغيرة . ونهض ثانية وجعل يدق على الزجاج بلطف وعند النقرة الثالثة فتح الشباك وظهرت هيئة امرأة وقالت بصوت ضعيف من هنا فاجاب بصوت ضعيف ايضا انا

فلم تسأله عن اسمه بل اقفلت النافذة وغابت دقيقة ورجعت وفتحتها ثانية وقالت لم اكن أؤمل ان أراك حيا ثم رمت مفتاحا وقالت اسرع بر بك ولا تحدث صوتا وحينما تفتح الباب اقفله وراءك بسكون فسأنتظرك تحت عند الدرج فوضع سيفه في قرابه وادخل المفتاح في الباب ففتح بسهوله ولم يحدث ادنى صوت فدخل وأقفله وراءه وعندها لم ير أمامه الا الظلمة الدامسة فلم يدر كيف يتجه وانتظر نحو دقيقتين في محله لا يبدي حراكا وأخيرا سمع صوت يقول تعال . فتقدم نحو الصوت وسيفه مشهور يستعمله كعصا للاستدلال على ما امامه . وما مشى بضع خطوات الا وشعر بيد من حديد شدت على عنقه فاراد ان يتخلص ولكنه سقط الى الارض معرقلا

بحبال ممدودة ثم مسكته يدان قويتان من اكتافه ويدان مثلهامن رجليه ويد امكست يده اليمنى لكي لا يتمكن من القبض على سيفه وسمع اذ ذاك شهيق امرأة ووقوع جسمها على الارض بأقل من لمح البصر ربطت يداه ورجلاه وسد فمه ولم يستطع أقل ممانعة . ثم أحضر رجل مشعل فاضاء المحل وظهرت لاباسكيز ممدودة على الارض مغشيا عليها وتقدم الشيفاليه دى غرالبي من فلامبرج وقال لقد كان هذا الوحش ذا خطر ولكن هنالا يقدر ان يتحرك . فشكرا لصديقتنا مار يوت التى سهلت علينا امساكه ثم اشار الى رجاله قائلا . خذوه حالا وضعوه في الكهف وضر به برجله حين ذهب عنه وصعد السلم حيث كانت لاباسكيز ملقاة

وحمل فلامبرج براندامور وثلاثة غيره وأدخلاه في الممر الذى يؤدي الى حانة ترويكيفل وهو نفس الممر الذي ذهب فيه حينما قابل لاباسكيز . وفي نصف الممر فتح باب فيه درج الى الاسفل فنزلوا ومشوا في دهليز طويل ثم وقفوا امام ممشى آخر فيه غرف عديدة ففتح براندامور احداها ورمى بها فلامبرج وقال لو طعنتني طعنة قاضية ونحن في حانة ترويكفيل عوضا عن ان تداعبني بسيفك لما كنت بين يدي الان مقيدا ذليلا واني أقر لرجل قريب من الموت بشجاعته ومهارته بضرب السيف . فلقد كنت والحق يقال من نخبة ابطال السيف

وأغلق الباب فسادت الظلمة على فلامبرج . وكان طول المحل

الذي القي فيه يعادل طول قبر ويزيد عرضه عن عرض القبر قليلا

وقد اراد أن يتذكر ماجرى عليه فلم يقدر لتشتت أفكاره ولاشتداد وطأة الحمى عليه . و بقي مدة في حالة تقرب من الاغماء لايدري أين هو

و بعد مضي نحو نصف ساعة عاد اليه بعض صوابه وأول من خطر لباله اجنورثم أخوها وأخوه فصار يناجي نفسه: أين هما يا ترى ... لاشك انهما بقربي وقد يكونان في هذه الغرفة نفسها قال ذلك وحاول أن يحل رباطه ولكنه تالم جدا وان من الالم واذ ردد القبر صدى انينه ظنه صوت رجل آخر فصاح الست هنا وحدي ولكن لامجيب . وازعجه صوته في ذلك المحل الضيق الفاسد الهواء وضاق صدره من اشتداد الحمى . وليس الوصف كالواقع فليتصور القارىء نفسه في محل ضيق لا يزيد طوله عن طول جسمه ممددا فيه مربوط اليدين والرجلين مسدود الفم . يضيق نفسه من فساد الهواء وتحرقه نار الحمى مشغول البال على أخي حبيبته وعلي أخيه لاامل له بان يخرج من ذلك المكان الا باحدى المعجزات ... لو تصور القارىء ذلك لشعر بصعوبة مركز فلامبرج

وقد ذكرنا سابقا هذه الكهوف المؤلفة من سراديب تحت الارض حيث يؤتى من الافعال الهائلة ماتقشعر لذكره الابدان

وأراد أن ينظر الى ماحوله فلم يتمكن أن يرى مسافة أصبع واحد أمام عينيه لشدة الظلام وظن في بادىء الامر انه بعد مكثه مدة تعتاد عيناه الظلمة ولكنه لم يتمكن من رؤية شيء بعد ساعة . فعلل نفسه انه حين يطلع النهار تدخل عليه بعض أشعة النور و بقي منتظرا . . .

انتظر ساعة ثم ساعتين فثلاثا فخمسا ولكن الظلام بقي شديدا واعتراه النعاس من شدة ماقاساه من التعب والسهاد مدة يومين فدافعه دفاع مجاهد متحرز . . . واذ ذاك سمع ساعة بعيدة دقت عشر دقات فارتجف وقال ويحي هل طلع النهار و بزغت الشمس ومكاني على حاله ثم أغمض جفونه مستسلما الى سلطان النوم

ورأى في الحلم طيف اجنور تلعب الى جانب الملك بقصر فونتنبلو وهو واقف على بعد منها مرتد ثياب الاشراف . ثم رآى اجنور تشير اليه وتقول للملكة لقد وعدني بان ينتظرني ريثما ابلغ سن الزواج واقسم بان لايحب امرأة غيري

كذا كان حلمه ولم يعلم كم استغرق من الزمان

ثم رأى حلما آخر هو ان باب مكانه المظلم فتح بدون اقل صوت ودخلت منه امرأة بيدها فانوس سحري لم يتمكن من رؤية وجهها بسببه . ولكنه عرف من حركاتها وقامتها انها ماريوت لاباسكيز واراد ان يصرخ ولكنها وضعت يدها على فمه واهابت به ان اسكت ثم وضعت فانوسها على الارض وامسكته من رجليه وجرته الى غرفة

اخرى اخرجت منها رجلا غض الشباب، جرته محمل فلامبرج ثم رجعت ووقفت امام فلامبرج والفانوس بيدها فرآها نحيلة الوجه تنظر اليه وهي في هيئة مذعرة فاراد ان يتكلم لكي يعرف اني يقظة هو ام في منام ولكنه ارتج عليه كما يحدث في الحلم عادة . ثم رآها ركعت امامه وشعر باصابعها على وجهه و بقبلة من فمها على جبينه

ونهضت قاصدة الباب و بعد ان نظرت اليه نظرة أخيرة اقفلت الباب وانصرفت

ولم يدر اكان ذلك في حلم ام في يقظة وردد بفكره مرارا تلك الرؤيا . رأى لاباسكيز امامه رآها تجره بشعر باصابعها تلمس رجليه قرأ على باب غرفة الاولى النمره ٩ وعلى باب الثانية النمرة ٨ ... ثم جعل يقول في نفسه ايمكن ان يكن هذا حلما . لا ولكن ايمكن ان يحدث باليقظة . لماذا تأتي الي باسكيز وما قصدها من أخذي من غرفة الى غرفة . ولكني شعرت بجسمها يلمس جسمي . شعرت بنفسها على وجهي . شعرت بقبلتها على جبيني . نعم كل ذلك كان باليقظة

و بعد ساعة سمع صوت اقدام خارج الغرفة ورجلا يقول ماهي نمر الذين لايقدم لهم خبز .

فاجابه صوت آخر هي نمر ٩ و ١٣

ثم سمع صرير اقفال في عدة اماكن ومن جملتها اقفل غرفته ورأى شخصا معه رغيف خبز وجرة ماء وضعها امامه وجعل يمس وجهه

وجسمه مفتقدا رباطه .

واغلق الباب ثانية

ثم غاب الصوت ورجع بعد ربع ساعة وسمع فلامبرج احد الشخصين يقول لرفيقه ـ هيا بنا الآن الى مهمتنا الثانية وان كنت لااحب هذا الصنف من الاشغال . فاجابه رفيقه :

ـ لكن عند مايدفع لك مئة فرنك يجب ان تعمل مالاتحب .

فرفع فلامبرج جسمه بصعوبة شديدة ليسمع تماما ذلك الحديث وعاد الصوت فقال باي نمرة نبتدىء

ـ ابتدىء بنمرة ٩

ثم سمع صرير قفل وفتح باب

فقال أحد الرجلين ان هذا المسكين شجاع وقد كانت ضرباته لبرندامور في حانة ترويكيفيل بغاية الرشاقة . ودع دنياك ياصاح

وفهم حينئذ فلامبرج انهم يظنون انه هو نفسه الذي سيقتل له وايقن حينئذ ان لاباسكيز غيرت غرفته لكي لايقتل

ثم سمع صرير قفل آخر تلاه صوت بكاء طفل

فانفطر قلبه وتشنجت اعصابه وقال هذا فيبس . ان القتل عندي افضل من سماع بكائه . فليقتلوني مكانه واغمي عليه

الفصل العاشر

« لاباسكيز تقبل زباره »

وافاق فلامبرج من اغمائه بعد مدة لم يعلم طولها ولكنه شعر بان تلك المدة لا تقل عن يوم بتمامه . وأحس بالم وتعب شديدين وبحمى تحرق دماغه . وأراد أن يشرب الا انه لم يقدر بسبب رباطه

فزحف الى ان وصل الى الجرة ووضع رأسه فوقها ومد لسانه ولكنه لم يصل الى الماء . فالقى عندها جسمه الى الارض بعنف وصاح من الالم

وعاد وتذكر كيف خلصته لاباسكيز بدم شخص آخر . ثم تذكر الصوت الذي سمعه فصاح آه فيبس . اجنور . يالينهم قتلوني وجرت دموعه الحرى على خدوده

ومرت ساعات طوال على تلك الحال

عند ما دقت الساعة التاسعة دقتها الاخيرة سمع فلامبرج صوت مرور عربة ثقيلة فوق رأسه ثم ضوضاء في الممر الذي ذكرناه واصوات اناس يتكلمون ـ قال أحدهم

ـ والآن فلنشحن البضائع . لقد فات الوقت

وسمع فتح ابواب واغلاقها ورجلا يقول ان نمرة ١٣ خالية وكذلك نمرة ٩ لقد ذهبوا الى حيث

ثم فتح باب غرفة فلامبرج ودخل رجلان وحملاه واخرجاه ومشى به في طريق لم يعرفها قبلا. ولم يشعر الا وقد القياه داخل غرفة ضيقة فوق تبن وأحس ان بجانبه شخصين آخرين عن اليمين وعن الشمال وأول فكر خطر له انهما لاموسكاد وفيبس ولكن بعد ان تفرس فيهما عرف انهما غريبان

ثم اغلق الباب ومشى المكان الذي ظنه غرفة فعرف انه عربة وقال في نفسه كيف يجسر هؤلاء ان يمروا بالمدينة في النهار فبعد قليل يضبطهم رجل الشرطة

و بعد قطع مسافة صاح صوت : من الآتي .

فاجابه سائق العربة بدون ان يقف بامر الملك

واعيد هذا السؤال وهذا الجواب عند بوابة المدينة . وحين صارت العربة خارجا جعل السائق يضحك و يلعب مع رفقائه والاسارى فى الداخل يذوقون من العذاب الوانا وقد نحلت اجسامهم من قلة الاكل وشدة التعب والالم . ولكن احد الرجال الموكلين بحراستهم قال لهم عند ما تصيرون على ظهر المركب نقدم لكم كل ما تطلبون وستتمنون ليزيد ثمنكم

وما زالوا يمشون ستة ايام وفي اليوم السابع وقفت العربة وانزلوا الى مركب في الهافر ففكت قيودهم ووضعوا في قعر المركب مع قطيع من الغنم . وفي المساء قدم لهم طعام جعلوا يلتهمونه بشهية غريبة .

أما فلامبرج فكان جالسا في احدى الزوايا يلمس ذراعيه وفخذيه التي اصبحت بغاية الهزال فهز رأسه وتبسم

وفي اليوم الثاني من سفر فلامبرج اسيرا بالعربة دخلت خادمة لاباسكيز واخبرت سيدتها بان غريبا متوسط العمر يريد مقابلتها ليخبرها عن موت القبطان مغران

وكان المذكور من ابطال البحر يشن الغارة على كل الاساطيل التي يراها و يبطش بسكان جزر الاسبانيول في الهند الغربية . وقد عرفته لاباسكيز من زمان طويل اذ كان يشتري اسراها الذين يخلصون من القتل في أحد الكهوف

فامرت خادمتها بادخاله الى غرفة الاستقبال و بعد ان اصلحت شعرها دخلت وحين وقعت العين على العين وقف كل على حدة ينظر الى رفيقه وهما لا يتكلمان

واخيرا قالت لاباسكيز ماذا اتى بك الى هنا ياسيدى.

فاصفر الغريب وقال بصوت يرتجف اهذه انت التى هنا . انت التي يلقبونك ماريوت لاباسكيز.

ـ نعم انا وقد جعلت كل الناس تتكلم بهذا الاسم

ثم تقدمت نحوه وارادت ان تمسك يديه ولكنه رجع الى الوراء وصاح ماري . الهذه الدرجة من العار سقطت . صرت خليلة لانذل واحط البشر . ولكنه قد صار بالخيانة الكونت دي فوا

لان بن اخيه الوارث الوحيد قد مات . اليس كذلك فحنت برأسها علامة الايجاب

ووقف الشخص مدة لا يتحرك ثم قال يجب ان اهرب حالا وان بقيت دقيقة اخرى فلا يبقى لي من الشجاعة مايكفي للعمل انني اشعر بدافع لتخليصها وهذا لا يمكن لاني هنا لخدمة الملك

ـ حينما ماتت امي قد اقسمت يمينا

ـ الم ابذل جهدى لابر بقسمى ولكن لم ار فيك الا ابنة طائشة عنيدة . آه يالهي . انى احبك نعم احبك وهذا عذابي في هذه الدنيا اني لم ابتسم قط لابني الحقيقي الذي اتاني من امرأتي الشرعية . اما انت فاشعر بحنو غريب نحوك . اسفك دمي لاجعلك سعيدة . والان اقول لك ان الملك سيأتي فقد قضي عليك

ـ الملك . ولماذا يأتي الملك الي

ـ اني أنا الذى دعوته اذ لم اعلم باني سألقاك في هذا المحل الساقط النجس ... لقد ظننت انك مت و بكيتك كآخر تذكار لشبو بتي وآخر تذكار لحبي ... والآن أرجو ان تطيعني فاسهل عليك اسباب الهرب

ـ اني لا اريد الهرب وأى خطر يتهددني وأنا في بيتي .

ـ اصغي الي انك لا تعلمين على ما اظن بأني صرت رئيس الشرط في باريس واني بحثت عن جميع الكهوف وعلمت ان في بيتك هذا احدها . وقد اخذت الاحتياطات اللازمة فاحطت بيتك هذا

برجالي . فلا يقدر أحد ان يخرج منه الا بعد ان يأتي الملك و يزوره

فتغير لون ماريوت ولم تعد ركبتاها تحملانها فجلست على احد الكراسي وقالت و بعد كم من الوقت اتشرف بقبول زيارة الملك . وهل لي من الوقت ما يكفي لاعداد زينتي

ـ الآن الساعة العاشرة والساعة الثانية بعد الظهر يحضر جلالته

ـ اى أربع ساعات هذا الوقت يكفي ... والآن اسمع ياسيدى اني امرأة يتيمة قد ماتت امي وأنا طفلة اما والدي فلم يرد ان يعطيني اسمه فحاولت ان اكتسب اسما آخر واستخدمت جمالي لذلك وقد صرت غنية والحمد لله وهذا البيت أحد املاكي وأؤكد أنا أن لا كهف فيه البتة ...

فقطع حديثها بدهشة قائلا ولكني رأيت باب الكهف بعيني ...

ـ انك لم ترجيدا يا سيدى . ألم تقل لي ان بعد اربع ساعات يحضر الملك . فبمدة اربع ساعات تسد ابواب كثيرة وحينما يسألك الملك عن الحائط الضخم الذى يفصل بيتى عن الكهف قل ان وراءه بيت الكونت والكونتس دى فوا وخرج الغريب وقد زاد في عمره عشر سنوات

و بعد خروجه بعشر دقائق احضرت لاباسكيز البنائين وابتدأت بسد الباب الذى يصل بيتها بالكهف ثم صار الخدم يحضرون اخشاب فيضعونها على الحائط لكي لا يظهر شيء . واذلم يأخذ الشرطة أمرا

بمنع الداخلين الى البيت بل الخارجين منه فقط لم يمانعوا بدخول أحد من البنائين والنجارين

وعند الساعة الثانية الا ربعا خرجت لاباسكيز وصارت تتكلم وتضحك مع الحرس فتركوها ثم بعد ان قبلوها وذهبت الى منزلها الثاني لوجيدى دام ماري

وفي الساعة الثانية قدم الى الشارع شرذمة من العساكر يتقدمهم رجلان احدهما الغريب الذي رأيناه يكلم ماريوت لاباسكيز والثاني شاب قصير القامة متنكر في رؤيته اشد التنكر وادخل الغريب الذي لم يكن الا المسيو دي لاريني رئيس رجال الشرطة في باريس رفيقه الى البيت واراه الكهف بعينه ولكنه لم يجد احدا فيه ولم يجد له منفذا الى بيت آخر اذ ان ماريوت سدت الباب كما علمنا . وتقرر عند الشخص وجود كهوف في باريس ورأى بعض آثار دم طري في بعض غرفه وهاله ظلام بعضها وضيقها

وسأل الشخص المتخفي وهو الملك بذاته مسيو دى لاريني عن سكان ذلك المنزل فاجاب بأن لا علم له بذلك

وقبل ان يخرج الملك من البيت أمر بتدميره و بتوقيف جماعة من الفقراء وجدوهم بقرب الباب

وسال الملك ولمن هذا البيت وراءنا

فاجابه دى لاريني انه يخص الكونت دى فوا الذي كان من

مدة قصيرة الشيفاليه غرالبي

— لقد ذكر هذا الاسم مرارا امامى . وهل استولى على كل املاك اخيه الكونت دي فوا المتوفي

— ان ذلك حقه يا سيدى

— ان منزله ياصديقي قريب جدا من الكهف

فلم يجب دى لاريني بشيء

وقال الملك لقد ذكرت لي مؤخرا عن مقتل أخيه وقلت ان المجرم هو الذى يعود عليه الجرم بالفائدة

— ان هذه الجملة طالما اخلت القضاة يا سيدي

— ولكني اخذتها عنك يا صديقى فهل غيرت فكرك

— نعم يا سيدى اطلعت على تعليمات جديدة

وكان وجه دى لاريني مصفرا جدا فقال الملك مالك يا صديقي هل انت متألم

— نعم ياسيدى

— اني ارى انك تتعب كثيرا باشغالك فاذهب الان واستريح

الفصل الحادى عشر

كيف افاقت لاباسكيز سيدها الشريف

وفي المساء دخل المنزل الشيفاليه دى غرالبي أو بالحري الكونت دي

فوا وهو يكاد يقع من السكر وحين رأته لا باسكيز ركضت اليه وصارت تقبله وهي تقول له لقد سبب لي غيابك ضجرا شديدا

فضحك غرالبي وقال الم يأتي صديقك فلامبرج ويسليك ؟

ثم رمى قبعته على الطاولة وقال انى عطشان

فاحضرت له خمرا و بعد ان شرب قدحا قال ضاحكا ان أمر القمار غريب فحين كنت فقيرا كنت أخسر دائما أما الان وأنا غنى فاني أكسب أموالا جسيمة

وضرب يده على جيبه فرنت الدنانير

ـ انى مسرور اليوم جدا لان كل النساء ترانى جميلا بعد ان صرت غنياً وقد سالونى عنك وقالوا لم تزل مصمما على زواج هـذه الشقراء فاحبتهم دعوا المياه تجرى فى مجاريها

وقهقه بصوت عال وقال ماذا : انزوجك : ماهذا الجنون :

ـ عندى أشياء مهمة أقولها لك ياسيدى الشريف

ـ لقد سمعت ان فرقة من الفرسان اتت الى هنا فقلت لقد حان ن يقبض على هذه الشقية

ـ اعنى كنت تتكلم ياسيدى الشريف .

فهز كتفيه . اما ماربوت فجعلت تروى له تفاصيل الزيارة وحين كرت اسم دى لاريني تغير لونه وقال هذا يخيفني . وحين ذكرت لملك قال ان الملك قريبي وقد خدمته خدمات عديدة ... وعدا

عن ذلك لاتقام الحجة على كونت لاجل مسألة طفيفة كهذه

و بعد ان انهت ماريوت قصتها قال انك تساوين ثقل جسمك ذهبا يا عزيزى ... والان انزعى حذائى

و بعد ان خلعت عنه ثيابه ساعدته على الذهاب الى سريره

وحين ابتعدت عنه قال انها لاتعرف كل شيء لقد مضي زمان وأنا اتعب للحصول على هذا اللقب . قد كنت أصغر اخوتى وكان البكر غير تنكريد الذى قتلناه ... هل انت هنا يا ماريوت تصغين الي

ـ نعم ياسيدى الشريف

ـ لاباس . وحين وجوده في اسبانيا كان يعيش كاكبر الاشراف وكنت أنا البس ثيابا ممزقة ... وقد قتل في احد الحروب في نيا هو وامرأته ... ولكني كنت غبيا اذ لم اسحق رأس ابنهما علقته من رجليه باحد الاشجار . وقد كبر هذا الولد واينما ذهبت وجدته عقبة في طريقى . هل علمت من اعني :

ـ كلا ياسيدى الشريف

ـ تكذبين ... انه هذا الخبيث فلامبرج

فلم تملك نفسها ان صاحت اما غرالبي فاستأنف حديثه قائلا ولكن من الآن وصاعداً لن اراه أبدا لقدمات الشقي وانرجع الى قصتنا الآن بعد ان عاش احي الثاني مدة وورث القاب واملاك اخيه البكر الحقته من مدة قصيرة باخيه ووصل الدور الآن الي

- انك سيد صاحب دراية وقوة

- لقد نفعتني قليلا ايتها الابنة لانه لولا دراهمك لاصابني الضيق يوم احتجت الى ارسال من يختطف فيبس من قصر مونتارجيس وسأنظر في مكافأتك . والآن دعيني انام

- اسعد الله مساءك ياسيدي الشريف

ثم غطته وذهبت الى سريرها ولكن غرالبي لم ينم فقال لها ولكن الا تزالي مصممة على اعتقادك بزواجي اياك ابتها المجنونة .

- اني تحت رحمتك يا سيدي الشريف واعتقد بكلمتك

وفي الصباح افاق الكونت دي فوا واراد ان يحرك رجليه فلم يقدر وكذلك ذراعيه فظن انه انفلج وقال هل شربت كثيرا البارحة . هل انت هنا يا ماريوت .

- نعم ياسيدي الشريف

- الا تعلمين ما بي ياعزيزتي .

- ان فخذيك وذراعيك مربوطة ربطاً محكما وحبل من الحرير حول عنقك طرفه مربوط برجل السرير والطرف الثاني بيدي وتلزمني الا حركة خفية لشد العقدة فاخنقك

فجرب غرالبي بكل قوته ان يتخلص ولكنه لم يقدر

- لاتتعب نفسك ياسيدي الشريف فانك مربوط ربطا محكما

- هل تجسرين على خنقي ايتها الشقية انا الكونت

فضحكت ضحكة قوية وشدت الحبل قليلا فاحمر وجهه

ـ هل تريد ان تتزوجني ياسيدي الشريف الآن .

ـ وهل تحبينني كثيراً

ـ انى ابغضك واحتقرك

فجعل يشتمها اما هي فشدت الحبل فطلع لسانه من شدته وصاح بتلعثم الرحمة الرحمة . اني اقسم لك .

فارخت الحبل قليلا وقالت اني لاارتبط بقسمك يا حضرة الكونت وانما فعلت مافعلته الان لتعلم مقدرتي

ثم جعلت تفك جسمه وحينما صار حرا نزل من السرير وهو يشتم ويلعن وركض الى محل سيفه ولكنه لم يره فقدمته له لاباسكيز فاخذه وقال يلزم ان تموتي ايتها الشقية

اما هي فوقفت امامه لاتبدي حراكا وقالت بما انك تعرفني الان اقتلني اذا كنت تقدر . لقد علمنا اعمالا كثيرة كلانا وانك تعتقد انه لايمكنك الانتفاع مني فيما بعد . انك في غلط مبين ياصديقي وعندي ثلاثة اشياء اقولها لك وحينما تتطلع عليها لايمكنك ابدا قتلي

ففتح فمه وجمدت يده

اما لاباسكيز فقالت الامر الاول ان فلامبرج لم يمت

فتصبب العرق باردا من جبينه وبقي صامتا

ـ . والامر الثاني ان فيبس لايزال حيا .

فصرخ برعب صراخ الاستغراب .

— والامر الثالث ان مسيو دي لاريني يعلم مطلع على جميع خفاياك

— كيف ذاك . انه اذا عشيقك ايتها الغادرة

— هو ابي .

فاصفر غرالبي وسقط الى الارض لايعي على شيء

وبعد اسبوعين من هذه الحادثة صار عقد زواج فرنسوا انطوان دي غرالبي كونت دي فواعلى المدموازيل ماري دي ماس دازيل . ولم يذكر والدي العروس

وكان شهود الزوج الكونت دي غيش والكونت دي بفرون من رجال اخي الملك وشهود الزوجة المسيو دسبريميل رئيس البرلمان والمسيو دي لاريني رئيس الشرط .

﴿ انتهى الجزء الاول من رواية الشريف المجهول الاصل ﴾

(ويليه الجزء الثاني وفيه تتمة الرواية)